الفصل الثالث

# دور روسيا القيصرية والاتحاد السوفيتى فى قيام الدولة الصهيونية

الفصل الثالث

# دور روسيا القيصرية والاتحاد السوفيتى فى قيام الدولة الصهيونية

كانت الأعداد العظمى التى دخلت اليهودية من أقوام كانت تعيش حول ضفاف بحر الخزر، انتهى الترحال بهم إلى روسيا القيصرية ، التى جمعت قوميات شتى من البشر لوقوعها شرق أوربا ، وغرب آسيا .

وفى آخر القرن الثامن عشر ، فترة تقسيم بولندا ، أصدرت حكومة روسيا القيصرية مرسومًا يحدد أماكن إقامتهم فيها ، ويمنحهم حكمًا شبه ذاتى ، كما يمنحهم حرية إدارة أعمالهم الخاصة فى الأماكن المحصورة عليهم ، وكانت هذه الأماكن التى يعيشون فيها فى أحياء خاصة بهم ، تجسيدًا لفكرة المجتمع اليهودى الخاص ( الجيتو ) وكانوا لا يخرجون منه إلا بإذن من السلطة الحاكمة ، وبقيود شديدة جدًا ، تفتقد إلى الإرادة والاختيار .

امتدت هذه المجتمعات المقفولة على اليهود من شبه جزيرة القرم إلى بحر البلطيق، وكانت مثل هذه الحياة تدفع الذين ابتلوا بها من البشر إلى التطرف المدمر، والغلو فى التفكير، ومن ثم فلم يكن مثيرًا للدهشة أن ينضم كثيرون من هؤلاء إلى الجمعيات السرية الثورية فى بلاد روسيا الكبرى التى تمتد من شبه جزيرة القرم إلى بحر البلطيق، ولقد عبر (تيودور هرتزل) مؤسس الصهيونية الحديثة عن هذه الحقيقة فى كتاب (الدولة اليهودية) فقال: « فقدنا القدرة على الاندماج فى خلال العصور الوسطى ، أما سبب العداء الراهن لنا ، فيرجع إلى ظهور أنصاف المثقفين بيننا بأعداد كثيرة ، ولأن هؤلاء لا يجدون متنفسًا من أسفلهم ، أو من فوقهم ، أى أنهم لا يجدون متنفسًا صحيًا فى أى اتجاه ، يصبحون عناصر هدامة ، ونحن [اليهود ] عندما نفقر نصبح (بروليتاريا) ثائرة تتبع جميع الأحزاب الثورية» (١).

---

(١) تيودور هرتزل: الدولة اليهودية، ص ٦٠. و(البروليتاريا) مصطلح ماركسى يعنى طبقة الشغيلة التى يجب أن تحقق الثورة الاشتراكية بعد القضاء على البرجوازية المستغلة للطبقة العاملة.

وعلى هذا الأساس الذى صوره ( تيودور هرتزل ) مؤسس الصهيونية الحديثة، فقد دخل يهود روسيا الكبرى ( القيصرية ) فى الجمعيات السرية الثورية المناهضة للحكم القيصرى ، ومن هؤلاء اليهود الذين دخلوا المنظمات اليسارية والفوضوية، وكان منهم وقود الحركة الشيوعية التى استولت على الحكم فى روسيا ١٩١٧م .

وفى عهد الإسكندر الأول ( ١٧٧٧ ـ ١٨٢٥م ) مُنح اليهود تيسيرات كثيرة فى معيشتهم، وأعطوا كثيرًا من الحقوق ، وترتب على ذلك أن تمكنوا من السيطرة على الاقتصاد فى روسيا ، فهم كما وصفهم ( هرتزل ) ـ عندما تترك لهم حرية العمل فى المال يرتفعون وقال أيضًا فى ذلك : « عندما يرتفع اليهود ، ترتفع معهم القوة الرهيبة للمال » (١) .

ولذلك فقد خشى منهم ( نقولا الأول : ١٧٩٦ ـ ١٨٥٥م ) الذى خلف الإسكندر الأول ، وقام بإلغاء الامتيازات التى حصلوا عليها على يد سلفه الإسكندر الأكبر وألغى الأنظمة الخاصة بهم ، وفرض عليهم الخدمة العسكرية للمرة الأولى ، وعمل على دمجهم فى المجتمع الروسى ، ليكونوا مكشوفين أمام السلطة الحاكمة فتعرف كل تحركاتهم داخل المجتمع الروسى .

غير أن هذه السياسة أدت إلى غير ما كان ينشد القيصر نقولا الأول ، لأنه بدمجهم فى المجتمع الروسى ، فتح لهم أبواب الحياة الروسية أمام اليهود بدءًا من التعليم الإجبارى ، فأتاح لهم أن يصبحوا نخبة متفوقة داخل المجتمع الروسى ، وأن يتفوقوا فى السيطرة على الاقتصاد ، وبذلك جمعوا بين أهم قوتين مؤثرتين فى حركة أى مجتمع : قوة المال ، وقوة الثقافة .

كان اليهود كعادتهم قادرين على امتلاك المال ، فلما ملكوا العلم بجانب المال فى مجتمع روسيا شبه الإقطاعى الذى تسرى فيه الأمية ، بجانب الفقر ، استطاعوا أن يكونوا نخبة متفوقة فى مجتمع أقرب إلى التخلف منه إلى التقدم والمدنية ، « وما إن أطل عهد الإسكندر الثانى حتى كان اليهود قد بلغوا ذروة السيطرة الاقتصادية على المجتمع الروسى ، وكانت لهم الهيمنة على الشؤون المالية

---

(١) هرتزل : الدولة اليهودية ، ص ٦٠ .

والمهنية ، وتركزت فى يدهم أعمال الصيرفة ، والمهن المختلفة ، ومعظم المرافق الصناعية والتجارية » (١) .

واليهود فى النزوع إلى تحقيق النجاح فى أمور المال بمهارة فائقة لا تختلف طرائقهم فى أى مكان يتواجدون فيه من العالم من أقصاه إلى أقصاه ، ولكن مع ذلك فيهود روسيا كانوا شأنا مختلفًا عن بقية اليهود فى الغرب ، لذا كانت المسألة اليهودية فى روسيا ليست كمثيلاتها فى كل البلاد الأخرى فى العالم الغربى ، لأسباب :

أولها : إن بلاد القارة الأوربية . خاصة فى غرب أوربا سبقت روسيا إلى النظم المدنية والتقدم فى كل المجالات السياسية ، والاقتصادية ، والثقافية .

ثانيًا : كانت روسيا حتى النصف الثانى من القرن ١٩ ـ بالإضافة إلى بولندا تمثل المخزون الأكبر لليهود فى العالم ، فحتى الربع الأخير من القرن ١٩ فى سنة ١٨٨٠م تحديدًا كان عدد اليهود فى روسيا ٤٢٥٠٠٠٠ أربعة ملايين وربع مليون يهودى من أصل ٧٥٠٠٠٠٠ ( سبعة ملايين ونصف مليون ) يهودى منتشرين فى شتى أرجاء العالم .

وكان يهود روسيا متمركزين فى المناطق الغربية والجنوبية الغربية من روسيا ، فقد ضمت روسيا مناطق من بولندا ، وأوكرانيا ، وروسيا البيضاء ، وحوض البلطيق ، وكانت هذه المناطق تضم ١,٤٠٠,٠٠٠ ( مليون وأربعمائة ألف ) يهودى (٢) .

وكان يهود روسيا يمثلون أصحاب الامتيازات بين الإقطاعيين والفلاحين الروس الفقراء، فقد كانوا يديرون أملاك الأغنياء، ويفيدون من التجارة، والعمل فى الحرف الصغيرة، وأعمال الربا، وكانوا يعيشون فى (جيتو) كبير خارج حدود المدن والقرى

---

(١) نهاد الغادرى : التاريخ السرى للعلاقات الشيوعية الصهيونية ، ص ٢٣، دار الكاتب العربى ـ لبنان ١٩٦٩م.

(٢) انظر أمين عبد الله محمود : مشاريع الاستيطان ، ص ٩٧، ١٣١، وفايز سارة : اليهود والصهيونية فى الاتحاد السوفيتى ، ص ٩٠ ، مجلة شؤون فلسطينية ، فبراير ١٩٩٠م .

الروسية، وكان لكل ( جيتو ) مجلس إدارى يدير شؤونه الداخلية، وينظم علاقته بـ ( الجيتوات ) الأخرى . وكان هذا النظام الإدارى يسمى ( قهال = Kahal).

وفى سنة ١٨٦١م ألغى نظام القنانة ( رقيق الأرض ) فى روسيا ، وظهرت طبقة وسطى فى روسيا من الروس ، وكونت البرجوازية الروسية ، تلك البرجوازية التى وجدت منافسة فى التجار والمرابين ، وأصحاب الحرف من اليهود، فأخذت فى التضييق عليهم ، وقضت على نظامهم الربوى ، الذى كانوا يعولون عليه فى معيشتهم .

وساد انطباع كراهية اليهود من قبل الطبقة الوسطى الروسية .

وكانت الطبقة الدنيا الروسية هى الأخرى تكره اليهود بقدر ما كانت تكره الإقطاعيين ، فلما خرجت الطبقة الوسطى من الطبقة الدنيا ، نظرت إلى اليهود على أنهم جنس غريب شرير ، طالما انتفع بخيراتهم وابتذهم ، وزاحمهم فى أرزاقهم، ومن ثم أخذوا ينظمون حركات كراهية، واضطهادًا لهم أدت إلى ما عرف بمذابح ( البوجروم Pogrom ) = الإبادة ، وهى كلمة تطلق على الإبادة الجماعية التى تعرض لها اليهود فى روسيا وشرق أوربا خاصة فى بولندا فى زمن روسيا القيصرية ، وهى أشبه بإبادة الهلوكست = التى تعرض لها اليهود فى ألمانيا وبولندا وشرق أوربا على أيدى النازية من سنة ١٩٣٩م ـ ١٩٤٤م [١] .

ونتيجة لمذابح الإبادة التى تعرضت لها جماعات اليهود فى روسيا وشرق أوربا، فكرت هذه الجماعات فى الهجرة إلى بلدان أكثر رخاء وتسامحًا ، فاتجهوا إلى أوربا الغربية ، ولكن لم يرحب بهم لشدة فقرهم ، لا من قبل أهل البلاد ، ولا من قبل اليهود الذين استقروا فى هذه البلاد ، وكونوا فيها ثروات كبيرة ، وأدى ذلك إلى تضافر كل من البرجوازية الحاكمة فى دول غرب أوربا ، والبرجوازية اليهودية فيها من أجل حل مشكلة هؤلاء المهاجرين من فقراء اليهود الروس والبولنديين ، وبدؤوا فى طرح مشاريع تهجيرهم إلى أرض فلسطين ، لإبعادهم عن أوربا ، لذلك لم يكن أمرًا غريبًا أن تنفر البرجوازية الأوربية

(١) د. رمسيس عوض: الهولوكست بين الإنكار والتأكيد، ص ١١ ، كتاب الهلال سنة ٢٠٠٠م.

اليهودية الثرية ممثلة فى عائلة ( روتشلد ) بالتعاضد مع الحكومات البرجوازية الأوربية ـ لحل المشكلة اليهودية ـ قبل أن تتحرك المنظمة الصهيونية اليهودية ذاتها.

وبذلك بذرت بذور اليهود فى القرن ١٩ فى فلسطين ، وكانت نواتها من اليهود الروس الفقراء ، الذين لفظتهم روسيا القيصرية ، وأغلقت أوربا الغربية أبوابها فى وجوههم .

وكان ذلك الهروب الكبير من روسيا يمثل أول أدوار روسيا فى تكوين الوطن اليهودى الصهيونى بأرض فلسطين ، كان ذلك فى زمن روسيا القيصرية .

وفى العصر السوفيتى لا يستطيع أحد أن ينكر دور يهود روسيا وتأثيرهم فى التاريخ السوفيتى كما كان لهم تأثير فى تاريخ روسيا القيصرية .

لقد كان لليهود دور مهم فى قيام الثورة البلشفية ، دليل ذلك وجود أسماء كثيرة ومشهورة من اليهود فى قائمة الثورة البلشفية ، والنخب السياسية فى الدولة السوفيتية .

وقد ساعد على انخراط اليهود فى الثورة التى أنهت حكم القياصرة أن اليهود فى روسيا كانوا يمثلون تيارين :

**الأول** : الحسيديم القباليين . وقد نشأ هذا التيار منذ بداية القرن ١٨ وتميز بالتعصب الدينى ، وروح التضحية ، والإقبال على التقارب مع الطبقات الفقيرة ، ولقد كان هذا التيار مددًا بعد ( علمنة ) طائفة كبيرة منه « ثوريين ملتهبين حماسًا ، وشيوعيين ماركسيين (١) .

وهذا ما قارب بين يهود روسيا ، والبلاشفة الثوريين الذين قاموا بثورة أكتوبر سنة ١٩١٧م ، وهو التقارب الذى أوجد عددًا كبيرًا من البلاشفة اليهود ، من بين طلائع الثورة ، فلما استولى البلاشفة على الحكم ، وحكموا روسيا تحت اسم الاتحاد السوفيتى ، كان عددٌ كبيرٌ من اليهود قد وصلوا إلى سدة الحكم ، وكان على رأسهم ( تروتسكى ) وكان سبب هذا التقارب أن هؤلاء اليهود الذين خرجوا

---

(١) ميشال يمين : شؤون الأوسط ، ص ٤٨ العدد ٧٣ فى يونيو ١٩٩٨م عن صحيفة زافتزا العدد ٤٧ ص ٢٠٨ فى ١٩٩٧/١١/٢٥م .

من ( الجيتو ) وانضموا للبلاشفة ، كانت تجمعهم والبلاشفة الثورة على قوانين رأس المال ، واستغلال الرأسمالية للطبقة العاملة الفقيرة ، وهؤلاء هم اليهود الذين لم يجدوا متنفسًا صحيًا فى أى اتجاه فتحولوا إلى ( بروليتاريا ) ثائرة من أتباع الأحزاب الثورية ، كما وصفهم هرتزل .

**الثانى** : وهو نوع آخر من اليهود الروس يخالف ( الحسيديم ) وهم النفعيون الباحثون عن الثروة ، وهم الصنف الثانى فى تصنيف هرتزل الذين يملكون القوة الرهيبة للمال ، وهؤلاء هم الذين ظلوا فى حالة كمون فى روسيا ، ولم يظهر دورهم إلا عندما هبت رياح ( البيروسترويكا ) .

ولكن عودة إلى الصنف الأول : ( الحسيديم ) فقد بذل هذا الصنف من اليهود غاية جهدهم ، وكل مواهبهم فى سبيل قيام الدولة السوفيتية التى اعتبروها إمبراطورية العدالة الاجتماعية فى العالم ، التى يجب أن تسود كل الشعوب ، سواء داخل الاتحاد السوفيتى أو خارجه ، فكانوا فى بلدان الشتات فى أوربا وأمريكا وآسيا « سندًا للدولة السوفيتية ، وعملاء خلصًا لها ، وهم الذين كونوا عصب ( الكومنترن ) ومنهم تشكلت شبكة عملاء موسكو المتشعبة فى أصقاع الأرض » [1] . ومنهم تشكل محور القوى القيادية اليسارية فى دولة الكيان الصهيونى ، ومنهم أيضًا تكونت ( الكيبوتزات ) الشهيرة .

ولهذا لم يكن بمستغرب أن تقف قيادة الدولة السوفيتية بجانب اليهودية منذ بداية المشكلة الفلسطينية حتى قيام الدولة اليهودية فى سنة ١٩٤٨م ، التى أيدتها الحكومة السوفيتية عقب إعلان قيامها بدقائق ، ثم دعمتها بالسماح بالهجرة اليهودية المستمرة ليهود الاتحاد السوفيتى بعد ذلك ، لدرجة أن عدد اليهود بعد قيام الاتحاد السوفيتى قد تراجع تراجعًا كبيرًا فأصبح عددهم ٢,٦٠٠,٠٠٠ ( مليونين وستمائة ألف ) يهودى فى سنة ١٩٢٦م [2] ، وكان هذا النقص بسبب الهجرة شرقًا إلى أرض فلسطين منذ القرن ١٩ ، بجانب انفصال بولندا عن الاتحاد السوفيتى ، وكان بها أعداد كبيرة من اليهود ، بجانب من استطاعوا الهجرة إلى وسط أوربا وغربها ، وإلى القارة الجديدة خاصة الولايات المتحدة ، والأرجنتين .

---

(١) ميشال بمين : شؤون الأوسط ، مرجع سابق ، ص ٤٩ .

(٢) فايز سارة : اليهود والصهيونية فى الاتحاد السوفيتى ، ص ٩٠ .

وظل اليهود فى الاتحاد السوفيتى يمثلون طبقة أقرب إلى الصفوة ، فقد تبوأ كثير منهم مناصب رفيعة فى حقول العلم والأدب والفن والثقافة بصفة عامة ، كما أنهم مثلوا طبقة معترف بها طبقة قومية دينية ، أى قومية يهودية ، وكانت القومية الوحيدة التى تقوم على أساس دينى فى الاتحاد السوفيتى الذى لا يعترف بالأديان.

وفى القرن ١٩ تعرض اليهود الروس لما كان يتعرض له كل يهود أوربا ، فكان أكثرهم يتجه إلى الهجرة خاصة إلى أرض فلسطين بتأييد من يهود الخارج ، وبموافقة من السلطات الروسية ، وقد استمروا على هذه الحال بعد قيام الثورة فى أكتوبر ١٩١٧م .

وكما سبق ذكره ، فإن التجمع اليهودى الروسى / البولندى ، كان أهم الأوعية التى نمت فيها الصهيونية ، كما كان يطلق عليها حظيرة التوطن اليهودية ، وهى تسمية بولندية الأصل. فالصهيونية بأفكارها الأصلية ـ فى العصر الحديث ـ نبتت فى هذا المكان من العالم ، والذى يؤكد ذلك أن المؤتمر الصهيونى التأسيسى الأول للحركة الصهيونية الذى عقد فى بازل فى سنة ١٨٩٧م والذى ولدت فيه المنظمة الصهيونية ضم ٧٠ ( سبعين ) مندوبًا من روسيا القيصرية من مجموع الأعضاء الذين بلغ عددهم ٢٠٤ أعضاء ، أى أكثر من ثلث عدد أعضاء المؤتمر ، وهذا يؤكد أهمية دور ممثلى التجمع اليهودى فى روسيا القيصرية آنذاك (١) .

ومع أن النشاط الصهيونى كان مزدهرًا فى روسيا القيصرية ، فقد توارت المنظمات الصهيونية فى الاتحاد السوفيتى، وتظاهرت بمعايشة الحياة السوفيتية ولكنها فى الوقت نفسه كانت تحاول بصفة دائمة ودؤوبة ـ من جانب الحركة الصهيونية العالمية ومنظماتها ، تهجير اليهود السوفييت إلى دولة الكيان الصهيونى ، وكانت حريصة كل الحرص على أن تكون الهجرة من الشباب بصفة خاصة من ذوى الكفاءات العلمية العالية .

ويلخص السياسى اليهودى البريطانى ونستون تشرشل ـ المحب للصهيونية ، المبغض للشيوعية التى كان يراها نبتًا خبيثًا فى نبت أوربا واحة الديمقراطية ـ عن

(١) انظر : فايز سارة : المرجع السابق ، ص ٩٣ .

أهمية العلاقة السوفياتية الصهيونية قائلاً : « إن السوفييت يهدفون إلى انتصار اليهودية ، وهذه هى الأعمدة الصخرية لسياسته » (١) ( الاتحاد السوفيتى ) . ولم يكن غريبًا أن يكون أول نَبْتٍ للفكر الصهيونى السياسى فى روسيا القيصرية ، فى دراسة ليو بنسكر (١٨٢١ ـ ١٨٩١م ) بالكتاب الذى أصدره فى سنة ١٨٨٢م (التحرر الذاتى ) وبرره بالاضطهاد الذى تعرض له يهود روسيا فى مذابح الإبادة (البوجروم ) أى أن تأليف هذا الكتاب جاء كرد فعل لما يعانيه اليهود فى روسيا ، ولقد اختار ( ليو بنسكر ) أرض فلسطين لتحقيق التحرر الذاتى لليهود بعد أن قام بجولة فى بلاد أوربا ، قابل فيها أعضاء الجاليات اليهودية ، وسمع شكوى زعماء الجاليات ، خاصة فى إنجلترا ـ من هجرة اليهود إلى أوربا وإحداث مشكلات يهودية بها ، وسمع نصيحة زعماء الجاليات الأوربية بضرورة الحد من الهجرة اليهودية إلى بلدان أوربا ، بإقناع اليهود الروس بالتوجه إلى فلسطين ، وقال له زعماء الجاليات اليهودية فى أوربا : « يجب أن نتأكد من إبعاد الفائض من اليهود فى أوربا ، ذلك الفائض غير القادر على الذوبان ، وتوفير المقام المناسب له فى مكان آخر » (٢) .

وجدت دعوة ( ليو بنسكر ) إلى التحرر الذاتى جوًا مساعدًا لها من جهتين :

**الأولى** : المنظمة الصهيونية . فقد ذهب ( هرتزل ) إلى ( بطرسبرج ) ليقف على أحوال اليهود الروس ، وقابل فياشيلاف فون بليفى وزير داخلية روسيا ، وأفهمه هذا الأخير أن الحكومة الروسية لا تقف ضد الحركة الصهيونية ما دامت تعمل على تهجير يهود روسيا .

قال فياشيلاف ـ الذى قام بمذبحة تطهير يهودية فى كشنيف فى عيد فصح سنة ١٨٨٣م مات فيها ٤٥ ( خمسة وأربعون ) ، وجرح أكثر من ألف يهودى ـ لهرتزل فى لقاء بينهما فى ١٣ أغسطس سنة ١٩٠٣م : « لقد تطور الوضع مؤخرًا إلى الأسوأ ؛ لأن اليهود يلتحقون بالأحزاب الثورية ، لقد كنا متعاطفين مع حركتكم

---

(١) مذكرات ونستون تشرشل ١/٣٦ .

(٢) انظر : أمين عبد الله محمود : مشاريع الاستيطان ، ص ١٠٦ .

الصهيونية ، طالما تعمل فى اتجاه الهجرة ، ليس من الضرورى أن تبرر الحركة لى، كأنك تعظ شخصًا اهتدى وآمن ، ولكن منذ مؤتمر مينسك لاحظنا حدوث تغيرات فى أقسام كبيرة ، الحديث عن الصهيونية الفلسطينية الآن ، أقل من الحديث عن الحضارة والتنظيم ، والقومية اليهودية ، وهذا لا يناسبنا .

« ولقد حصل ( هرتزل ) على حق إعادة فتح شركة الاتحاد الاستعمارى ، وعلى خطاب موافقة على الصهيونية من فون بليفى فيلاشيف وزير داخلية روسيا القيصرية ، ولكن هذا التأييد أعطى بشرط وحيد، هو أن تحصر الحركة نفسها فى الهجرة ، وأن تتجنب أى الحقوق الوطنية داخل روسيا » [1] .

**الثانية** : كراهية الروس لليهود ودفعهم دفعًا إلى الهجرة عن روسيا ، وإغلاق أبواب أوربا فى وجه المهاجرين الروس إليها ، هؤلاء اليهود الذين لم يجدوا مخرجًا من أزمتهم إلا بالتوجه شرقًا نحو فلسطين .

وقد أطلق اليهود على هذه التوجهات المعادية لهم = معاداة السامية .

وكان من الأمور الغريبة التى تبدو شاذة أن تتحالف الصهيونية مع معاداة السامية ، فكانت الصهيونية العالمية ، توعز للصهيونية المحلية أن تفرز الأيديولوچية القومية فى روسيا وبولندا وأوكرانيا بسموم قتل اليهود للمسيح بين الجماهير المسيحية الريفية ، ومن ثم تتفجر المذابح المعادية للسامية ، وقد بدت هذه الحيل الصهيونية أقوى ما تكون ، عندما بدأت مذابح اليهود فى روسيا ، وبولندا وأوكرانيا ، وظهر التوافق الحميم بين الصهيونية ومعاداة السامية ، وكان الهدف المنشود من هذا التوافق هو إيجاد حل للمشكلة اليهودية فى هذه البلاد بهجرة اليهود ، أو بعضهم إلى دولة يهودية تحت التكوين [2] . أى إلى أرض فلسطين .

---

(١، ٢) انظر : لينى بيرنر : الصهيونية فى ظل الدكتاتورية ، ص ٢٣، ٢٩ .

## تحالف الصهيونية والشيوعية

كان الصهاينة، خاصة الذين هاجروا إلى فلسطين من روسيا الكبرى ، ثم من الاتحاد السوفيتى ، هم الذين أسسوا أول حكومة ، وأول جيش عسكرى فى دولة الكيان الصهيونى ، يعرفون جيدًا أهداف الاتحاد السوفيتى فى المنطقة العربية .

وكانت روسيا السوفيتية ـ من جانبها تريد أن تثبت للعالم أنها قوة عظمى تستطيع أن تنافس الدول الإمبريالية الغربية فى نفوذها فى دول أخرى صغرى . خاصة فى مناطق المياه الدافئة من العالم العربى .

أما الغرب ، فقد ترك لروسيا حق السيطرة على شرق أوربا حتى البلقان ، وسمح لها أن تجعل من نفسها دولة المركز الذى يدور فى فلكه دول شرق أوربا .

كانت روسيا السوفيتية تريد أن يكون لها نصيب فى خيرات العرب ، بجانب رغبتها فى نشر المذهب الشيوعى فى المنطقة العربية ، ولهذا بدأت بتكوين الخلايا الشيوعية بأيدى يهود هاجروا من روسيا أو بولندا ـ وكانت المنظمة اليهودية على علم بذلك ، بل كانت تشجع بعض الصهاينة لنشر الشيوعية فى العالم العربى ، لتحصل على مكاسب مزدوجة فى مقدمتها المساعدات الروسية ، فضلاً عن بلبلة الأفكار وإثارة المذاهب المتضادة ، وشغل العرب بمشاكل عقدية تبعدهم عن قضيتهم الأساسية فى فلسطين : ومن جهة أخرى كسب صداقة الاتحاد السوفيتى ، ظاهرة أو خفية .

بدأت الاتصالات الرسمية بين مسؤولى المنظمة الصهيونية ، والاستخبارات الروسية اعتبارًا من سنة ١٩٢٠م .

ويمكن قراءة مذكرات فلاديمير فوتيبوروخ رئيس شبكة المخابرات السوفيتية فى إسرائيل التى نشرتها صحيفة الحياة اللندنية فى أعدادها من العدد رقم ١١٨٩٣ الصادر فى ١٩ من ربيع الآخر ١٤١٦ ـ ١٤ سبتمبر ١٩٩٥م حتى العدد ١١٨٩٩ فى ٢٥ من ربيع الآخر ١٤١٦ ـ ٢٠ سبتمبر ١٩٩٥م .

وترجع أهمية هذه المذكرات لذكرها تقرير اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفياتى فى أبريل سنة ١٩٣٥م التى شارك فيها ستالين (الرجل الأول) ومولوتوف (الرجل الثانى ) وأندرتيف وكاچا نوفيتش ، وكالينين، وليتفينوف ) و( بياتينتسكى) عن ( الكومنترن ) الأممية الشيوعية. و( بوتومكين ) عن وزارة الخارجية ، و(يجوروف) عن الأركان العامة للجيش الأحمر ، وكل من ( فرينو فسكى ) و(سلوتسكى) عن وزارة الداخلية .

وكان الجانب اليهودى يتألف من ثلاثة أشخاص برأسهم عزرا سارنا .

وأهم ما جاء فى التقرير: « إن لمناقشة الموقف فى فلسطين صلة بتأزم الأوضاع فى المنطقة كلها وتنشيط الحركة التحررية اليهودية ضد الإمبريالية . وأن تساعد الأممية الشيوعية اليهود الفلسطينيين معنويًا وماديًا باعتبارهم أحد فصائل الحركة التحررية العالمية » .

« لا تعترض الخارجية السوفياتية على تعاون ( الأممية الشيوعية ) فى إطار نشاطها مع ( الأممية الاشتراكية ) لتقديم الدعم للحركة اليهودية فى فلسطين .

« وأعرب رئيس الوزراء (فياتشيسلاف مولوتوف) أن المساعدات يجب أن تقدم للصهيونية لأن الصهيونية ـ بجانب أنها تضعف مواقع الإمبريالية ـ تؤيد بعض المقترحات السوفياتية فى عصبة الأمم المتحدة حول حق الاتحاد السوفيتى فى مضيقى البسفور والدردنيل على « أن تقوم إدارة المخابرات بأركان الجيش الأحمر ـ ومديرية الأمن بوزارة الداخلية وكذلك اللجنة التنفيذية للكومنترن بتقديم ما يحتاجه اليهود من السلاح الروسى » (١) .

وعليه فقد طلب الصهاينة قائمة طويلة من أنواع السلاح والذخيرة والمعدات الحربية .

وهذا يؤكد مدى أهمية العلاقات بين الصهيونية والاتحاد السوفيتى منذ وقت

---

(١) تم تهريب السلاح السوفياتى عن طريق ميناء الحديدة باليمن ، وقد كان فى انتظاره أزاروف وفوتيبوروخ بوصفهما وكيلين لمؤسسة الملاحة البحرية السوفياتية فى أوديسا ، ثم من ميناء الحديدة ـ بالطريق البحرى ـ إلى العقبة » صحيفة الحياة العدد ١١٨٩٥ ص ١٨ .

مبكر « وجاءت معاهدة المضيقين التى أقرها مؤتمر مونترو فى الفترة من ١٩٣٦/٦/٢٢م حتى ٢٠ يوليو ١٩٣٦م تستجيب لمطالب الاتحاد السوفياتى ، بل إن الاتحاد السوفيتى كسب فى مونترو أكثر مما كان يطمح إليه ، لأن المنظمة الصهيونية بذلت قصارى جهدها فى تأمين مطالب السوفيت فى المضيقين (١) .

إن ما جاء فى مذكرات فوتيبوروخ كان نتيجة نشاط مستمر ليهود شيوعيين روس أُعدوا لتعميق التعاون بين (الكومنترن) والأحزاب الشيوعية فى العالم العربى، ولقد جاء فى المذكرات « أن ستالين رحب بمبعوثى المنظمة الصهيونية ، وأعرب عن أمله فى توسيع التعاون وتعميقه بين الكومنترن ، والمنظمة الصهيونية » (٢) .

ثم كان هناك إعداد لتكوين أحزاب شيوعية فى العالم العربى لتعضيد التعاون السوفياتى الصهيونى إذ إنه أكبر خزان بشرى يهودى ويمكن ذكر بعض القيادات اليهودية فى الحركة الشيوعية فى البلاد العربية بعد الحرب العالمية الأولى ، ومعرفة كيف هبت رياحها الأولى من قبل اليهود الذين هاجروا من روسيا وبولندا إلى فلسطين .

١ ـ كان اليهودى الروسى روز شتاين أول سفراء الشيوعية فى العالم العربى، وكان مشرفًا على جميع الشؤون الشرقية، وما يتصل بالعلاقات الروسية الإسلامية فى روسيا السوفيتية بعد نجاح الثورة البلشفية ، وإليه يعزى تأليف أول حزب شيوعى فى العالم العربى فى فلسطين فى سنة ١٩١٩م وكان حزبًا يهودى القيادة ، وقد أوكل إلى العناصر اليهودية فيه أمر إنشاء الأحزاب الشيوعية فى البلاد العربية. وكان من أهمهم :

**بارتولد** : كان متخصصًا بالشؤون الإسلامية ، وتفسيرها تفسيرًا اشتراكيًا ، وكان أول من أشاع شعار: الإسلام دين الاشتراكية، ويعزى إلى هذا الشعار الدور الذى لعبه الشيوعيون العرب فى سيرة الصحابى الجليل أبى ذر الغفارى رضي الله عنه ، بزعم أنه أول اشتراكى عربى مسلم فى التاريخ .

---

(١) صحيفة الحياة العدد ١١٨٩٤ ص ١٨ .

(٢) صحيفة الحياة العدد ١١٨٩٥ ص ١٨ .

وكانت مهمة بارتولد ، ثم تلاميذه فى العالم العربى والإسلامى ، تفسير أصول الدين الإسلامى ، وتشريعاته تفسيراً اشتراكيًا .

٢ ـ **إميل ـ أوسكا ـ مولر** : كان لهؤلاء الثلاثة جهد وفير فى تعضيد الحزب الشيوعى السورى اللبنانى، وقد أمدهم الكومنترن بالأموال، والتوجهات الشيوعية، لبثها فى سوريا ولبنان .

٣ ـ **نحمان ليفتسكى** : يهودى شيوعى كان من بين يهود فلسطين ، وكان ضالعًا بكل مؤتمرات الحزب الشيوعى السورى / اللبنانى ، وكانت مهمته التى كلف بها من الحزب الشيوعى السوفيتى ، تشديد الحملة على الأحزاب الوطنية وقياداتها بالشام ، وإلصاق تهمة الانتهازية بها ، فيفقد الناس الثقة فيها .

٤ ـ **برنمو** : يهودى روسى شيوعى ، هاجر من روسيا إلى فلسطين ، وعمل مستشاراً لقيادة الحزب الشيوعى السورى اللبنانى .

٥ ـ **هلل شفارتس** : مؤسسة منظمة الإيسكر بمصر ، وهى المنظمة التى اتخذت فيما بعد ، مع منظمة ( هنرى كوريل ) تحت اسم ( حدتو ) وهو الاسم المشترك.

٦ ـ **جاك تيبر** : يهودى روسى شيوعى هاجر إلى فلسطين ، ثم عرف بأنه رئيس الحزب الشيوعى فى سوريا ولبنان . وشغل منصب الأمين العام للحزب الشيوعى السورى اللبنانى منذ سنة ١٩٢٥م حتى نهاية سنة ١٩٢٦م وهو الذى أعد خالد بكداش ليخلفه فى قيادة الحزب الشيوعى السورى اللبنانى ، بعد أن وضع الأسس التى سار عليها العمل بالحزب .

٧ ـ **أفيجدور** : يهودى روسى شيوعى ، انتدبه الكومنترن لتكوين الخلقات الماركسية الأولى فى مصر ، ووضع مبادئها الشيوعية .

٨ ـ **أبوز يام وبرجز** : شارك فى توجيه الأحزاب الشيوعية فى فلسطين وسوريا ولبنان . . ، وكان يعد من أبرز خبراء الكومنترن فى شؤون الشرق العربى ، وتزعم الحزب الشيوعى فى فلسطين فيما بين سنة ١٩٢٤م ـ ١٩٢٩م .

٩ ـ **هنرى كوريل** : يهودى من أصل إسبانى، وجنسية إيطالية ولد وأقام بمصر،

لكنه لم يحمل الجنسية المصرية يومًا ما ، كان مليونيرًا أسس الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى ( حدتو ) فى مصر ، وهى حركة شيوعية كان لها تأثير قوى فى الشبيبة المصرية فيما بين الحربين العالميتين الأولى والثانية ، ومنها خرجت بعض عناصر الحكم فى مصر فى الفترة التى حكم فيها عبد الناصر، مثل : فؤاد مرسى، وخالد محيى الدين ، وجمال عبد الناصر نفسه ، فقد انضم إليها فى مرحلة ما من مراحل تكوين فكره السياسى .

١٠ ـ **ناداب** : يهودى روسى سبق هنرى كوريل ، وهلل شفارتس فى تكوين الحلقات الماركسية الأولى فى مصر ، منتدبًا من الكومنترن .

١١ ـ **مرسيل إسرائيل** : يهودى شيوعى ، أسس منظمة الشعب الماركسية فى مصر .

١٢ ـ **صديق يهودا** : مؤسس الحزب الشيوعى العراقى [١] .

إن سياسة الاتحاد السوفيتى التى يطيرها الإعلام العربى ، غير سياسته المستوردة ، والتى تجليها مواقف مندوبيه الرسميين فى هيئة الأمم المتحدة .

كان وضع سياسة السوفيت فى العالم الإسلامى يخضع لمتواضعات سوفيتية فى المقام الأول ، تحركه العقيدة الشيوعية أولاً وأخيرًا على أسس ثابتة مثل :

١ ـ من الثابت أن الشيوعية تناهض الأديان ، باعتبارها أفيون الشعوب ، الذى يخدرها فلا تفيق من ظلم الحكام الرأسماليين المستغلين لطاقات الشعوب ، وعلى هذا الأساس فإن الإسلام عدو للشيوعية ، ومن ثم فإن قادة الشيوعيين لا يخلصون للإسلام ، ولا للشعوب الإسلامية .

٢ ـ إن الاتحاد السوفيتى أراد أن يكون له نفوذ فى العالم العربى ليكون له نصيب فى خيراته حين يحين وقت اقتسام الخيرات ، ولا يعنيه أن يكون طريقه إلى المنطقة العربية بواسطة إحدى الأقطار العربية ، أو عن طريق الكيان الصهيونى ، خاصة وأن قيادات هذا الكيان أغلبهم من الاتحاد السوفيتى وبولندا ، وكانتا شيوعيتين فى أخطر مرحلة من مراحل تكوين الكيان الصهيونى .

---

(١) انظر : نهاد الغادرى : التاريخ السرى للعلاقات الشيوعية الصهيونية ص ٢١٠ ـ ٢١٤ .

٣ ـ يتفق كل من القادة السوفييت والقادة الصهيونيين فى أنهم جميعًا ملاحدة علمانيون ، وهذا يجعل مصالح كل منهما قبل الآخر فى أمان أكثر مما لو كان مع العرب المسلمين ، خاصة وأن دينهم يرفض كلا من الشيوعية والصهيونية .

ولقد أبرز الرئيس السابق محمد أنور السادات هذه الحقيقة عندما أعلن فى خطاب أمام مجلس الشعب فى افتتاح الدورة البرلمانية لسنة ١٩٨٠م فقال : «والمعروف أن للسوفييت سياسة غير معلنة ، وهى التى تعنى ركوع العرب تمامًا للاتحاد السوفيتى الذى يسخر كل إمكاناته وعملائه لهدم بناء السلام فى منطقة الشرق العربى » .

إن قادة الاتحاد السوفيتى بالرغم من نظرتهم المعادية للأديان ، إلا أنهم كانوا أقرب إلى التضامن مع اليهود لا مع العرب المسلمين ، وعلى هذا الأساس كان موقفهم من العالم الإسلامى بصفة عامة ، وقضية فلسطين خاصة ، باعتبارها قضية مهمة لليهود ـ من وجهة نظر الاتحاد السوفيتى ، أكثر من أهميتها لمن يظهر الاتحاد السوفيتى صداقة لهم من الحكومات العربية .

وهناك من الأدلة التاريخية ما يؤكد وجود شواهد على تعاطف الاتحاد السوفييت مع قضية اليهود ، ففى أثناء الحرب العالمية الثانية ، عندما هاجمت جيوش ( هتلر ) ـ أكبر أعداء اليهود فى أوربا فى ثلاثينيات وأربعينيات القرن العشرين ـ روسيا ، فى ذلك الوقت أظهرت حكومة ( جوزيف ستالين ) تعاطفًا شديدًا مع اليهود ، بل أعلن السوفييت نداء للتضامن اليهودى .

وفى ٢٤ أغسطس سنة ١٩٤١م سمع اليهود من يخاطبهم براديو موسكو بالأخوة اليهود ، وسمحت السلطات السوفيتية لأدبائهم وشعرائهم برفع شعار اليهود : شعب واحد فى العالم كله .

« وللمرة الأولى منذ سنة ١٩١٨م يُعلن رسميًا فى موسكو تكوين لجنة (اليهودية المناوئة للفاشية) .

وفى سنة ١٩٤٣م أوفد ستالين اثنين من كبار الشخصيات اليهودية فى الاتحاد السوفيتى ، إلى الولايات المتحدة وإنجلترا يطلبان الدعم اليهودى للسوفييت ضد النازية .

أما موقف الحزب الشيوعى السوفيتى من قضية فلسطين ، فقد كان على صلة بقيادات نظيره بفلسطين ، وأعلن تضامنه مع ( الهستدروت ) اتحاد العمال اليهودى بفلسطين فى النضال فى سنة ١٩٣٩م ثم كتب رئيس اللجنة اليهودية المناوئة لفلسطين فى نوفمبر سنة ١٩٤٤م : إن الشعب اليهودى له الحق فى الاستقلال بفلسطين .

وفى مؤتمر نقابات العمال العالمى فى لندن فى فبراير سنة ١٩٤٥م وافق الوفد السوفيتى على توصية بتمكين الشعب اليهودى من إقامة وطن قومى بفلسطين .

وفى السنة نفسها فى ١٣ يوليو سنة ١٩٤٥م نشر مقال فى صحيفة النجم الأحمر ، وهى صحيفة روسية رسمية ، تنتقد فيها رفض الجامعة العربية لقيام وطن قومى لليهود بفلسطين .

ثم أذاع راديو موسكو فى ١٥ يوليو سنة ١٩٤٥م أى بعد يومين اثنين من نشر المقال ترجمة للمقال باللغة العربية وبثها راديو موسكو لكى يسمعها كل العرب .

وكانت هناك مقالات تملأ أدبيات الإعلام السوفيتى ترى فى الرواد اليهود الذين أقاموا مستوطنات تسيير ذاتى طليعة ( للبروليتاريا ) فى المنطقة العربية ، وزعمت هذه المقالات أن اليهود بفطرتهم يحملون طباعًا ذات ملامح اشتراكية ، يقومون بتطبيقها بصورة منظمة فى المزارع ، والجمعيات التعاونية ، وبهذا شاع : أن الدولة الصهيونية يمكنها أن تحقق آمال الشيوعية فى المنطقة على غير ما يتوقع العرب اللائذون بدينهم ، الكسالى المتخلفون .

ظلت هذه الفرية عالقة بالعقل الشيوعى المعبر عن السياسة الرسمية فى الاتحاد السوفيتى وفى كتابات الجامعيين الشيوعيين كما عبرت عنه الكاتبة السوفيتية ( چالينا نيكيتينا ) فى كتابها : ( دولة إسرائيل ) الذى نشرته دار الهلال بمصر بمقدمة لأحمد بهاء الدين تكرر هذه المقولة ، وتصف الأمل الذى كان يراود الاتحاد السوفيتى فى إقامة (دولة إسرائيل ) لتكوين مركز نشر الشيوعية السوفيتية فى المنطقة العربية ، فتقول : «وتحرك الحزب الشيوعى [الإسرائيلى] لتوحيد الطبقة العاملة، وكل القوى التقدمية لتكوين جبهة موحدة من أجل النضال ضد القوى الرجعية العربية » .

ولا تكتفى الكاتبة بذلك فتنقل بعض ما ورد على لسان الحكومة السوفيتية بجريدة بوفرسكى فستى فى ١١/٤/١٩٤٨م أى قبل إعلان الدولة اليهودية بشهر: « إن نضال السكان اليهود فى فلسطين من أجل الاستقلال الوطنى لا ينفصل عن نضال الجماهير العربية من أجل الاستقلال الوطنى » (١) .

وسواء كانت اعتبارات الهجرة اليهودية إلى فلسطين قومية أو سياسية استعمارية ، أو دينية ، أو قهرية من قبل معاداة السامية ، فقد شاركت روسيا القيصرية ، ثم الاتحاد السوفيتى فى إرساء قاعدة هذه الهجرة ، وكانت له الدعامة الكبرى فيها ، ويمكن حصر ما أمكن حصره عن الهجرات الروسية إلى أرض فلسطين فى المراحل التالية :

١ ـ كان الفوج الأول من مهاجرى روسيا القيصرية ، ومن البلاد التى تحت سيطرتها فى شرق أوربا فيما بين سنتى ١٨٨٢م ـ ١٩٠٣م ، وكان هذا الفوج مكونًا من ثلاثين ألف يهودى معظمهم من جنوب روسيا ، وبعضهم من رومانيا ، وكان معظم هؤلاء اليهود ممن يعملون فى زراعة الأرض ، وهذا يؤكد دقة تخطيط الصهيونية الروسية ، والصهيونية العالمية لهذه الهجرة التى تمهد لهجرات تالية لأن انتقاء غالبيتهم ممن يعملون بالزراعة ، فيه تأكيد على أهمية دور القاعدة الاجتماعية الأولى فى توفير الغذاء للمهاجرة التالية ، قبل أى شىء آخر . ولقد ساعد على انتقاء المهاجرة الأولى من فلاحى روسيا ؛ لأنه لا يوجد فى أوربا يهود أفقر من يهود روسيا ، وبذلك فقد خططوا لأن تكون الهجرة اليهودية الأولى لأرض فلسطين منهم ، فلا يرفضون أى عمل يسند إليهم مهما كان قليل الأهمية فى الذهن اليهودى المعتاد على العمل بالتجارة والمراباة .

٢ ـ أما الفوج الثانى : وكان يتكون من ٤٠٠٠٠ ( أربعين ألف ) يهودى فيما بين سنتى ١٩٠٤ ـ ١٩١٤م ، ولم يتحدد تصنيف مهن أفراده ، وكانت المنظمة الصهيونية قد تكونت بالفعل .

٣ ـ أما الفوج الثالث فقد هاجر إلى أرض فلسطين فيما بين سنتى ١٩١٩ ـ

---

(١) جالينا نيكيتينا : دولة إسرائيل ، ص ٩٦ ، دار الهلال بمصر . د . ت .

١٩٢٣م وبلغ تعداده ٣٥٠٠٠ ( خمسة وثلاثين ألفًا ) من اليهود ، وقد مثلوا مع من سبقهم الفئة المسؤولة عن إرساء قاعدة الدولة اليهودية ، أى إن المنظمة اليهودية ـ سواء العالمية ، أو المحلية التى فى داخل روسيا بدأت تعنى بالتصنيف بحيث يكون فى بعض أفراد من أصحاب المواصفات الصالحة للقيام بالقيادة ، ومن يعملون بالإدارة وما أشبه .

٤ ـ وفد الفوج الرابع من المهاجرة الروس إلى أرض فلسطين فيما بين سنتى ١٩٢٤ ـ ١٩٣١م ، وبلغ عدده ٨٢٠٠٠ ( اثنين وثمانين ألف يهودى ) من الطبقة المتوسطة ، وهى عادة الطبقة التى تمثل عمود المجتمع ، وقادرة على إدارة شؤونه، وتدبير أموره ؛ لأنها الطبقة الاجتماعية التى تملك الحافز ، والشجاعة ، والإقدام، فلا هى بالمترفة التى أصابها الترف بالترهل ، ولا هى بالطبقة المعدمة الغارقة فى همومها .

وكان معظم أفراد هذا الفوج من البولنديين الطموحيين القاصدين الهجرة إلى الولايات المتحدة ، لتحقيق النجاح فى الأرض الجديدة ، ولكن الولايات المتحدة أغلقت جميع الأبواب فى وجوههم ، فاضطروا جميعًا إلى التحول إلى أرض فلسطين .

٥ ـ وفيما بين سنتى ١٩٣٣م ـ ١٩٣٨م لجأ إلى أرض فلسطين ٢١٧٠٠٠ (مائتان وسبعة عشر ألف ) يهودى من الاتحاد السوفيتى ـ وألمانيا النازية من اليهود الصهيونيين الذين أفرج عنهم ( هتلر ) وسمح لهم بالذهاب إلى أرض فلسطين بموجب اتفاق تم بين المنظمة الصهيونية، (وإيخمان) أحد الصفوة من رجال (هتلر) المقربين ، هذا بجانب ٩٢٠٠٠ ( اثنين وتسعين ألف ) يهودى من الدول الأوربية التى احتلها الجيوش النازية ، أى ممن دخلوا ضمن الاتفاق النازى / الصهيونى .

٦ ـ ودخل الفوج السادس المكون من ٦٢٠٠٠ ( اثنين وستين ألف) يهودى، بعد الحرب العالمية الثانية فيما بين سنتى ١٩٤٦ ـ ١٩٤٨م .

وتؤكد الكاتبة السوفيتية المتخصصة فى الشؤون السوفيتية / الفلسطينية چالينا نيكيتينا أنه بتحليل الهجرات اليهودية إلى أرض فلسطين من روسيا القيصرية، ثم من الاتحاد السوفيتى على مدار سبعين سنة، يتبين أن التهجير كان مرتبطًا بعوامل داخلية،

وعوامل خارجية ، منها اضطهاد اليهود فى روسيا القيصرية ، وهذا صحيح على حد قول الكاتبة ، ولكن الاتحاد السوفيتى لم يكن يضطهد اليهود ، بل كان يعاملهم برفق شديد ، وكان يقدر النوابغ منهم مثل : زخاروف عالم الطبيعة النووية الشهير ، وبوريس باسترناك الحائز على جائزة نوبل فى الأدب عن روايته (دكتور زيفاجو ) التى انتقد فيها الحياة فى روسيا ، كذلك كان زخاروف من أخطر منتقدى السياسة السوفيتية ، وظلا يعيشان فى روسيا دون أن تضيق عليهما الأجهزة الأمنية التابعة للحزب الشيوعى السوفيتى .

وهذا يعنى أن هجرة اليهود السوفييت إلى أرض فلسطين لم تكن بسبب الاضطهاد فى داخل الاتحاد السوفييتى ، بل كانت من أجل إقامة قاعدة لنشر الفكر الاشتراكى فى المنطقة العربية ، لإكساب الاتحاد السوفياتى أصدقاء فيها من بين حكامها الذين آمنوا بالفكر الاشتراكى ، تحت مسميات الاشتراكية الديمقراطية ، أو الاشتراكية العلمية أو حتى الاشتراكية الإسلامية .

« وكانت المراكز الاستخبارية السوفيتية فى إسرائيل ، تتلقى المعلومات من مصادرها اليهودية ، عن العالم العربى ، وعن أوربا الغربية ، والولايات المتحدة المتحدة » (١) .

على أن محللاً فى السياسة الأوربية منذ بداية الثلاثينيات لا ينكر قوة التأثير المنبثة من الفكر النازى وأثره فى حركة اليهود من بولندا ، وما شملها من إبادة جماعية لليهود ، ثم اتبعها النازى فى ألمانيا ، وفى كل المناطق التى سيطرت عليها الجيوش النازية فى أوربا فى أثناء الحرب العالمية الثانية .

كذلك لا ينكر محلل سياسى ضعف تأثير الدعاية الصهيونية بين جماهير اليهود، من أجل جذبهم إلى أرض فلسطين ـ بزعم أنها أرض أجدادهم التوراتية ، لأن اليهودى الذى يحب أن يعيش فى الواقع ، ويحب أن يحقق مكاسب مادية مباشرة، وسريعة، لا يجب أن يملأ رأسه بالأحلام التوراتية ، وحلم أرض الميعاد، لأن تلك الأحلام محفوفة بالمخاطر التى لا يميل إليها اليهودى بطبعه ، وفى ذلك

(١) صحيفة الحياة العدد ١١٨٩٩ ، ص ١٨ .

تقول الكاتبة الروسية المتخصصة فى الشؤون الروسية / الفلسطينية : « كانت الدعاية الصهيونية بين جماهير اليهود ، واجتذابهم إلى أراضى أجدادهم [ فيما يزعم ] من أقل العوامل التى ساعدت على هجرة اليهود إلى فلسطين ، فمن المشاهد مثلاً أنه فى الفترة ما بين سنتى ١٨٨٢م ـ ١٩٣٠م هاجر إلى الولايات المتحدة ٣٢٠٠٠٠٠ ( ثلاثة ملايين ومائتا ألف ) يهودى من أوربا الشرقية ، معظمهم من روسيا وبولندا، وهاجر إلى فلسطين فى الفترة نفسها نحو ١٢٠,٠٠٠ ( مائة وعشرين ألف ) يهودى فقط ، أى أقل من عدد المهاجرين إلى الولايات المتحدة بـ ٢٧ ( بسبع وعشرين مرة ) [١] .

وثمة كسب ليهود فلسطين والحركة الصهيونية ـ فيما أعلنه ( مالينكوف ) فى شهر يوليو سنة ١٩٤٤م وكان ( مالينكوف ) وقتذاك الرجل الثانى فى الحزب الشيوعى السوفييتى ـ بعد ( ستالين ) ، من ضرورة تلبية المطالب الصهيونية للشعب اليهودى بفلسطين ، ثم أكد ( ستالين ) ـ الرجل الأول فى الحزب ـ ما أعلنه (مالينكوف ) فى شهر فبراير سنة ١٩٤٥م عندما أعلن موافقته على إقامة وطن قومى لليهود بفلسطين ، وفتح أبواب فلسطين أمام الهجرة اليهودية ، وكان إعلان « مالينكوف ) الرجل الثانى فى الحزب الشيوعى السوفيتى ـ بعد ستالين ـ عقب اجتماع تم بين « روزفلت » و« جوزيف ستالين » فى « يالطا » أقرا فيه إقامة دولة صهيونية لليهود على أرض فلسطين العربية ، فى أوائل شهر فبراير من سنة ١٩٤٥م .

حدث هذا فى نهاية الحرب العالمية الثانية ، وقبل أن توقع ألمانيا المهزومة وثيقة الاستسلام ، ففى الاجتماع الثلاثى فى ( يالطا ) ما بين ( ستالين ) و( روزفلت ) و( تشرشل ) ، طلب ستالين أن ينتقل وعد بلفور من ( مسكن = وطن لليهود ) بفلسطين ، إلى « إقامة دولة يهودية بفلسطين » وفى ذلك قال ( ستالين ) نقلاً عن (ديفيد بن جوريون): «إن الاتحاد السوفيتى يتبنى حماية هذه الدولة» وهذا ما حمل يهود الولايات المتحدة من أعضاء لجنة القنبلة الذرية على مكافأة ( ستالين ) على

---

(١) چالينا نيكيتينا : دولة إسرائيل ، ص ١٦٣ .

موقفه هذا بتسريب أسرار صناعة الذرة بواسطة ( روزنبرج ) اليهودى الذى حوكم على خيانته ، وأعدم » [1] .

أما أكبر مكاسب الصهيونية من الاتحاد السوفيتى ، فيتمثل فى تصريح الحكومة السوفيتية رسميًا ، أمام الأمم المتحدة بالتصريح التالى :

أولاً : لما كانت الدول العربية المتحدثة باسم فلسطين دولا مستقلة ، لهم مندوبون بالأمم المتحدة، وليس لليهود مندوبون بعد ، فقد وقف جروميكو مندوب الاتحاد السوفيتى الدائم فى الأمم المتحدة يطالب بأن يكون للهيئات اليهودية من يعرض وجهة نظرهم أمام الأمم المتحدة ، بالخطاب التالى فى يوم ٢/ ٥/ ١٩٤٧م.

وهذا الرأى انفرد به الاتحاد السوفيتى بالمطالبة به ، قال جروميكو : « لقد استمعنا منذ البدء إلى مندوبى الدول العربية يعرضون وجهة نظرهم ، ولكنا لم نستمع بعد إلى مندوبى الهيئات اليهودية ، إن علينا أن نفهم دائمًا أن قضية فلسطين، ليست سوى قضية اليهود ، ولذا فلا مجال للبحث فى هذه القضية بغير مراعاة مصالح اليهود والأخذ بعين الاعتبار قلقهم ، ليس يهود فلسطين وحدهم ، بل اليهود فى كل مكان » . ثم وقف أمام اللجنة التوجيهية بالأمم المتحدة فى يوم ٣/ ٥/ ١٩٤٧م ليعلن :

« إن قضية فلسطين هى قضية الشعب اليهودى، ولابد من توفير كل الفرص، والأجواء أمام ممثلين للمشاركة ليس أمام اللجنة السياسية فحسب ، بل فى الجمعية العامة أيضًا ، والوكالة اليهودية هى الممثل الوحيد للشعب اليهودى فى فلسطين ، إذًا فلتعط الوكالة اليهودية الفرصة أمام الأمم المتحدة لتشارك فى بحث قضيتها ومناقشتها ، وإذا كانت هناك هيئات يهودية أخرى تود المشاركة فسننظر إلى طلبها.

« إن قضية فلسطين لا تهم العرب وحدهم ، بل الأمم المتحدة ، وآمل أن يعتبر كلامى هذا تأنيبًا للدول العربية التى تحاول أن تحصر بنفسها بحث المشكلة الفلسطينية ، دون أن تراعى شعور اليهود .

---

(١) د. محمد معروف الدواليبى : أمريكا وإسرائيل ، دراسة لدور الفكر الدينى فى الدعم الأمريكى لإسرائيل ص ٨٤ ـ نشر الدار الشامية ـ بيروت ، ودار العلم للملايين بدمشق ، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

إن قضية فلسطين تهم كل اليهود ، وهى تزعجهم ، وتزعجنا نحن السوفييت أيضًا ، كلما ارتفع صياح العرب .

وفى يوم ١٤/ ٥/ ١٩٤٧م وقف جروميكو نفسه أمام اللجنة السياسية بالأمم المتحدة ليعلن : « إن فلسطين وطن قومى لليهود والعرب معًا ، ولا يجوز أن نمنحها لطرف واحد ، ويرى الاتحاد السوفييتى أن أفضل الحلول هى أن يعطى اليهود والعرب حقوقًا متساوية ، فى دولة واحدة يحكمها الطرفان حكمًا مزدوجًا. فإذا تعذر ذلك فإننا نجد الحل فى تقسيم فلسطين إلى دولتين : دولة عربية ، ودولة يهودية ، وعلى لجنة التحقيق أن تدرس هذين الاحتمالين لمستقبل فلسطين .

وفى ١٣ من تشرين أول سنة ١٩٤٨م خطب سيمون تسارابكين أمام اللجنة السياسية المؤقتة فقال : « ليست الحجج القانونية ، ولا الحجج التاريخية التى يقدمها العرب الآن ذات شأن ، والاتحاد السوفيتى لا يريد أن يدخل فى جدل غير مجد مع العرب ، يكفى أن نعرف أن اليهود قد عانوا الاضطهاد ، وفى مقدمة مسؤولياتنا هنا فى الأمم المتحدة أن نضمن لليهود وطنًا خاصًا بهم ، ومن الجور ألا نساعدهم على ذلك ، ومن حق اليهود الشرعى أن يفرضوا سيادتهم على فلسطين لكى لا يكونوا تحت رحمة العرب ، فإذا اضطررنا إلى مراعاة الشعور العربى ، فإن ذلك بضمان نوع من الوحدة الوطنية ، وبين الدولة اليهودية الجديدة .

« إن الاتحاد السوفيتى يدعو ، ويؤيد ، ويعمل من أجل إقامة هذه الدولة ، وضمان مستقبلها ، وفى فترة الانتقال فإن الاتحاد السوفيتى يلح على الأمم المتحدة أن تحمل مسؤولية ذلك ، والاتحاد السوفيتى سيساعد بكل الوسائل على تحقيقه.

ثم بعد ذلك حاول جروميكو أن يفصل بين ما زعم أنه آمال الأمة العربية وبين حكوماتها ، فزعم أن الجماهير العربية التى تمثل ( طليعة البروليتاريا ) بزعمه توافق على قرار التقسيم ، وهذه الطليعة المزعومة ، كانت مختبئة فى خلاياها ، وكانت كلمات الرفيق جروميكو مفصحة عن آمال الاتحاد السوفييتى فى إقامة الكيان الصهيونى بأرض فلسطين ليكون جرثومة انتشار الشيوعية فى المنطقة العربية بين الطبقات العاملة التى أطلق عليها طليعة البروليتاريا .

ولهذا السبب أعلن جروميكو عن نيات الاتحاد السوفيتى فى تأييد قيام الوطن اليهودى بفلسطين فى خطابه فى يوم ٣٠/٣/١٩٤٨م أمام مجلس الأمن فقال : «إن الاتحاد السوفياتى لا يعارض فى موقفه هذا مطالب الشعب العربى ، بل مطالب الحكومات العربية ، فالجماهير فى كل مكان ، ومن كل الجنسيات تشارك فى المصالح والآمال ، والأهداف ، وإن قرار التقسيم لا يتعارض مع مصالح الجماهير العربية واليهودية ، بل على العكس فإن الاتحاد السوفيتى واثق من أن التقسيم يخدم مصالح الجماهير العربية واليهودية المشتركة .

إن الذين يدّعون بأن المشروع غير قابل للتنفيذ مخطئون ، ففى استطاعتنا تنفيذه ، والتغلب على معارضيه ، إننا سنلجأ إلى جميع الوسائل فى سبيل ذلك ، وإن الرأى العام العالمى، يؤيد وجهة نظرنا، وحرصنا على معونة الشعب اليهودى.

إننا سنكافح الوصاية الدولية على فلسطين ، إذا كان هدفها عرقلة تقسيمها، ونترك للعصابات العسكرية العربية إفساد حق الشعب اليهودى فى وطنه واستقلاله.

وفى ١٣ أبريل سنة ١٩٤٨م يخطب جروميكو أمام مجلس الأمن ، ومما جاء فى خطابه لومه الولايات المتحدة ، واتهامها بمجاملة العرب طمعًا فى بترولهم ، قال : إن الولايات لا تريد أن تؤيد حق الشعب اليهودى ، والرأى العام العالمى يستنكر أن تضحى الولايات المتحدة باليهود من أجل أصحاب المنافع الرأسمالية من شركات البترول ، ومن غيرهم ممن ترتبط مصالحهم مع العرب .

وفى الخطاب نفسه يصف جروميكو الجيوش العربية التى دخلت الحرب على الصهيونية لتحرير فلسطين من الصهاينة بأنها معتدية قال : لقد طرأ على القضية الفلسطينية الآن موقف جديد زادها تعقيدًا ، وهذا الجديد هو العدوان الأجنبى (الجيوش العربية) الذى غزا فلسطين ، ويريد الأمريكان منا أن نتجاهله ـ إن هذا التجاهل زور ولا مجال للهدنة فى أن تخدم أغراضنا ، إلا إذا انسحب المعتدون العرب ولن يجدى فى تبديل موقفنا بإزاء هذا العدوان أية بلاغة أو منطق .

إلى متى نظل متجاهلين قرار التقسيم ، ونعمل على عرقلته ؟ إن الدم يسيل فى فلسطين ، ولن ينفع فى إيقافه سوى التقسيم ، وحزم الأمم المتحدة .

وفى ٢١/ ٥/ ١٩٤٨م خطب جروميكو أمام مجلس الأمن قائلاً : « إننا لا نعترف بأن مندوبى الدول العربية فى الأمم المتحدة يمثلون حقيقة شعور العرب ومصالحهم ، فالحقيقة العربية الشعبية لا تناوئ حركة التحرير الوطنى اليهودية ، وإنما يناوئها نفر من الرجعيين لا يمثلون جماهير العرب ، إن مصلحة الجماهير العربية مرتبطة جذريًا بمصالح حركة التحرير اليهودية الوطنية .

وفى ٢٩/ ٥/ ١٩٤٨م خطب ( جروميكو ) أمام مجلس الأمن فقال : إن الصراع فى فلسطين تفجره الرجعية العربية والاستعمار ، مما يجعل مجلس الأمن مشلول الحركة ، ومقيد اليد فى حماية القدس وضواحيها ، وهى التى تعد مركزًا استثنائيًا عند أصحاب الأديان ، فهل وصل العجز بالأمم المتحدة حدًا لا تعبأ فيه بالضرر الذى سيصيب العقائد الدينية فى القدس بسبب العدوان العربى المسلح .

« هل نسى مندوب الأرجنتين [ وكان قد امتنع عن التصويت فى هيئة الأمم المتحدة فى ٢٥/ ١١/ ١٩٤٨م ] أن أغلبية بلاده من المسيحيين الكاثوليك يهمهم ألا تصاب المراكز الدينية فى القدس بأذى ؟ وهل نسى مندوب الولايات المتحدة الأمريكية ، ومندوب بريطانيا [ وكانت امتنعت عن التصويت مخادعة متآمرة ] أن بروتستانت بلادهم قلقون على مصير الأماكن المقدسة فى فلسطين المعرضة للعدوان العربى » أم أن على العالم بأسره أن ينتظر من دعاة الإلحاد وحدهم الدفاع عن حرمة الأماكن المقدسة فى فلسطين ، خاصة وأن ممثلى الدول البروتستانتية ، والكاثوليكية فى مجلس الأمن قد اختاروا هنا الامتناع عن معونة الاتحاد السوفياتى فى صون معاقل الدين فى فلسطين ؟!

وهكذا دخلت الحرب الباردة السوفياتية / الأمريكية فى قضية فلسطين، وأراد الاتحاد السوفيتى أن يجنى بعض مكاسب من مكاسبها ، ولكن على طريقته الخاصة ، لا طريقة الأطراف الاستعمارية الأخرى ، ولأن هذه الطريقة تقوم على الأكاذيب ، فقد زعمت مياسة الاتحاد السوفييتى مزاعم منها :

١ ـ إن الذين يطالبون بإجلاء اليهود من فلسطين هم حكومات عربية ، وليست شعوبًا عربية ، وأن وصف هذه الحكومات هو : العصابات العسكرية

العربية المتوافقة فى مصالحها مع الدول الرأسمالية أصحاب شركات النفط الطامعة، بالتآمر مع الحكومات العربية فى آبار النفط العربى .

٢ ـ إن الحكومات العربية بزعمه لا تعبر عن حقيقة مشاعر الشعوب العربية المتضامنة ، مع مشاعر الشعب اليهودى بفلسطين، لأن طليعة هذه الشعوب العربية واليهودية تعبر عن مشاعر طبقة واحدة، هى طبقة (البروليتاريا) التى تناضل لتحرير المنطقة من الرجعية العربية ، والاستعمار الرأسمالى الغربى ، فالحقيقة العربية ـ كما زعم جروميكو ـ لا تناوئ حركة التحرير الوطنى اليهودى ـ بل تعضدها.

حتى الدين أقحمه السياسيون السوفييت الذين يعلنون إلحادهم ، فى القضية الفلسطينية ، فمع أنهم دعاة إلحاد ، كما صرح جروميكو ، إلا أنهم سيدافعون وحدهم عن حرمة الأماكن المقدسة فى فلسطين .

الحقيقة كانت على نقيض ذلك تمامًا، فإن العماليين الصهاينة بزعامة (ديفيد بن جوريون) كانوا قوميين يهود فى الأساس ، ثم كانوا اشتراكيين بعد ذلك بحكم اشتراكهم فى الجمعيات الثورية خاصة فى روسيا وبولندا ، وكانت هذه الجمعيات ذات توجه ماركسى ، ولكنهم لما حلوا بأرض فلسطين ، كانو قد انفصلوا جسديًا وروحيًا عن ماضيهم الاشتراكى ، كما تخلوا عن نشاطهم فيما زُعم أنه تنظيم العمال العرب ، بل إنهم حرموا العمال العرب من العمل الموسمى فى بيارات البرتقال التى يمتلكها اليهود ، وأصبح كل همهم العمل بوعى لبناء مجد صهيون، لقد صاروا يسعون إلى الخروج من أطلال الطبقة الدنيا اليهودية التى عاشوها فى أوربا ، والعمل من أجل تكوين ( برجوازية ) يهودية سياسية أو اقتصادية .

وإن قيل : إن البرجوازية السياسية تسعى من أجل الوصول إلى السلطة ، وإن البرجوازية الاقتصادية تسعى من أجل الربح ، كان من الضرورى أن يضمهما تنسيق موحد ؛ لأن البرجوازية السياسية الصهيونية لا تستطيع أن تقيم تفوقها السياسى بدون وجود جماهير يهودية ، ومن هنا تبرز حقيقة وعى الصهيونية السياسية، فى إمكانية المحافظة على مصالحها فى ظل شعب موحد كله من اليهود، ولو اختلفت مشاربهم السياسية والاجتماعية .

وكان على البرجوازية اليهودية: « لكى تمارس سيطرتها فى النهاية على العمال العرب ، تحتاج إلى ( بروليتاريا يهودية ) تمامًا كما تحتاج القوى الأوربية العظمى إلى ( بروليتاريا ) قومية لكى تمارس خططها الإمبريالية [1] .

وكانت البرجوازية اليهودية التى خرجت من حزب العمل الصهيونى ، تسعى لاستقلال كل من ( البروليتاريا ) اليهودية والعربية ، ولقد عبر موشى بيلنسون محرر الجريدة اليومية العمالية ( دافار ) آنذاك فقال : أى قيمة لاقترابنا الوثيق من الشعب العربى فى العراق بالمقارنة مع المسافة الكبيرة بيننا وبينهم فى الأفكار ، وفى الوجود ، وفى مجال قيمنا ؟ فى كل هذه الأمور نحن أقرب إلى الأوربيين والأمريكيين ، بالرغم من الاختلافات العرقية القائمة ، نحن نريد فقط السلم مع الفلاحين العرب ، [ البروليتاريا العربية ] ليس من أجل توجيه ثورى لبعث الشرق سواء كان شرقًا قوميًا ، أو شرقًا طبقيًا ، أو شرقًا دينيًا ، ليس من أجل تحرير الآخرين جئنا إلى هنا ، بل من أجل تحرير أنفسنا [2] أولاً وأخيرًا .

وهذه الحقيقة التى أعلن عنها كاتب ينتمى إلى التيار الاشتراكى الصهيونى ، أراد ـ عن فهم لكل من السياسة السوفيتية والسياسة الصهيونية ، وأن يقول للسوفييت ، وللصهاينة فى وقت واحد أن الاشتراكية التى حملها اليهود السوفييت معهم إلى أرض فلسطين ، لم تعد إلا اشتراكية لفظية يجب الانفصال والخروج منها، بل خلعها من النفس البشرية الصهيونية ، التى لا تحمل إلا هدفًا واحدًا هو الاستيلاء على أرض فلسطين العربية ، والاستيطان بها ، وتلك الفكرة عبر عنها كاتب يهودى خبير فى المسائل الصهيونية بقوله: « فى الواقع العملى فإن الصهيونى الاشتراكى يضحى بالاشتراكية لصالح الصهيونية، وليس العكس » [3] .

وهذه دلائل تؤكد أن ما يردد شىء يخالف الحقيقة ، والذى رددته السياسة السوفياتية على لسان جروميكو لم يكن إلا صدى سياسة استعمارية بلون جديد لم تعرفه المنطقة العربية من قبل .

---

(١، ٢) لينى بيرنر : الصهيونية فى زمن الدكتاتورية ص ١٢٧، ١٢٨ .

(٣) لينى برينر : المرجع السابق ص ١٥٠ .

يضاف إلى ما سبق سياسة الأحزاب الشيوعية التى تم تكوينها فى العالم العربى بدءًا من فلسطين ، وانتهاء بالأحزاب الشيوعية العربية فى البلاد المحيطة بفلسطين أو قريبة منها ، ويمكن استشفاف ذلك من كتاب الكاتب الفرنسى ( چيل بيرو ) عن هنرى كوريل اليهودى وأقوى شخصية شيوعية فى مصر فى القرن العشرين، وأبرز رجال الجماعات الشيوعية فى مصر، من الشبان اليهود الشيوعيين. قال ( چيل بيرو ) : « كان هؤلاء الشبان يقرؤون مؤلفات الكتاب الفرنسيين أمثال: (مارلو ، ونيزان ، وأندريه چيد ) ويحومون حول الماركسية ، وتتجه عيونهم الحائرة تجاه موسكو ، بأنهم جيل بأكمله يعيشون فى مصر ، ويفكرون كأوربيين ، ويظنون بسذاجة أنهم مصريون [1] .

وكان أول تكوين لحزب شيوعى مصرى كان فى سنة ١٩٢٠م كان ٨٠٪ من أعضائه : يهودًا ، ومعهم بعض الأرمن واليونانيين ، وقام على كاهل ثلاثة رجال أصولهم مختلفة ، وميولهم متناقضة هم :

١ ـ الصائغ اليهودى : ( چوزيف روزنتال ) .

٢ ـ حسنى العرابى، كان مندوبًا للحزب لدى (الكومنترن) (الدولية الشيوعية) مزَّق بطاقة عضويته من الحزب الشيوعى ، وتحول عميلاً للنازية .

٣ ـ أنطون مارون ، كان يعمل بالمحاماة ، كان السكرتير العام للحزب ، مات سنة ١٩٢٤م بالسجن ، واختفى الحزب فى العام نفسه .

ولعل وضع القيادة فى أيدى ثلاثة رجال ينتمون إلى الديانات الثلاث يؤكد مرامى الفكر الماركسى ، فى نبذ الدين ـ فى العقيدة الماركسية على أساس أنه أفيون الشعوب . وتفريغ الفكر من كل اعتقاد إلا العقيدة الشيوعية .

ثم يضيف ( چيل بيرو ) وثمة شباب فى سن المراهقة التفوا حول ( هنرى كوريل ) عميل المخابرات السوفيتية ، كما وصفته وكالة الأنباء الفرنسية [2] الذى كان فى الخامسة والعشرين من عمره سنة ١٩٣٩م ، وكانوا فى سن المراهقة ،

---

(١) ارجع إلى چيل بيرو : هنرى كوريل رجل من نسيج وحده ، ص ٨٠ ، ٨٩ .

(٢) چيل بيرو : هنرى كوريل ، ص ٦٣ .

ذلك السن الذى تكون فيه الآذان صاغية ، وحساسة للنداءات المأساوية أمثال مارسيل إسرائيل ، وريمون أچيون ، وديدار روسانو ( امرأة ) ، وچوزيف حزان وكلهم من اليهود [١] .

وفى سنة ١٩٤٣م كان هيليل شفارتز فى العشرين من عمره ، وكان يهوديًا من أصل رومانى ، وكان مثقفًا بالثقافة الفرنسية ، وكانت أسرته قد استوطنت القاهرة منذ سنة ١٩١٤م ، وكانت أمه تعيره دائمًا بقولها : أنت قذر مثل العرب ، ومع أن أباه كان شيوعيًا ، إلا أنه كان ينظر إلى المصريين باعتبارهم متخلفين ، وكانت تنقص هيليل ابن الطبيب اليهودى الرومانى الصبغة المصرية ، ولم يستطع أن يعيش يومًا مصريًا ككل المصريين ، ومع ذلك فقد أقام هيليل حزب ( أسكرا ) [٢] ، ولكنه بعد فترة انضم إلى تنظيم هنرى كوريل ، وأصبح اسم التنظيم الجديد (حدتو) .

كان موقف تنظيم ( حدتو ) من قضية فلسطين فى البداية ينحصر فى إنشاء دولة فى فلسطين تضم العرب واليهود معًا ، ولكنه انحاز أخيرًا إلى مشروع التقسيم ، وفى العالم العربى تمت الموافقة من جانب تنظيم ( حدتو ) على قيام دولة الكيان الصهيونى ، وتضامن معه الحزب الشيوعى العراقى ، وكلاهما كان يترأسه يهودى ، موافقين بذلك الموقف الذى تبناه الاتحاد السوفياتى ، بموجب المشروع الذى تقدم به ( أندريه جروميكو ) إلى الأمم المتحدة باسم حكومة الاتحاد السوفيتى ، ولم يكن هناك أدنى شك فيما لو أن حكومة الكرملين قد اتخذت موقفًا مغايرًا ، أن يتخذ تنظيم ( حدتو ) الموقف المغاير نفسه » [٣] .

ولقد لخصت الدكتورة عواطف عبد الرحمن فى كتابها : مصر وفلسطين . موقف الحزب الشيوعى المصرى إزاء قضية فلسطين فقالت : كان موقف الحزب الشيوعى المصرى جزءًا من الموقف العام لحركة الشيوعية العالمية ، إزاء الواقع العربى فى ذلك الوقت [٤] .

---

(١) چيل بيرو : هنرى كوريل ، ص ٧٨ ، ٧٩ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٦٣ ـ ١٦٥ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢١٢ ، ٢١٣ .

(٤) د. عواطف عبد الرحمن : مصر وفلسطين ، ص ١٣١ ، عالم المعرفة ، يونيو ١٩٨٥م ط ٢ الكويت .

وهذا صحيح فى مجمله ، ولكن فيه اختزال مخل ، أو فيه مداراة ، فقد فصل طارق حجى ، الذى كان ماركسيًا ثم تحول وطنيًا ، هذا الموقف بالاستناد إلى المصادر الشيوعية مثل نشرة الوعى التى كان يصدرها الحزب الشيوعى المصرى فى سنة ١٩٤٧م وبيان حركة ( حدتو ) فى ١٩٤٨/٧/٢٩م، وصوت ( البروليتاريا ) = المنظمة الشيوعية المصرية ، لاسيما أعداد سنتى ١٩٤٧م / ١٩٤٨م ، وتقرير الحزب الشيوعى المصرى لسنة ١٩٥٠م من غزو فلسطين من قبل العرب، وصحيفة صوت الشعب = لسان حال الحزب الشيوعى العراقى سنوات ١٩٤٢/ ١٩٤٩م ، وكتابات خالد بكداش رئيس الحزب الشيوعى السورى عن البروليتاريا الإسرائيلية وكفاحها المشروع فى مواجهة الرجعية العربية ، والدفاع عن حق إسرائيل الطبيعى فى الوجود [١] .

ولنرجع إلى القول : إن موقف الشيوعيين المصريين كان جزءًا من الموقف العام للاتحاد السوفياتى فى ذلك الوقت .

إن الاتحاد السوفياتى مرت به مراحل عديدة متباينة ، لم تكن على شاكلة واحدة، بل كانت متناقضة فى بعض الأحيان ، فالاتحاد السوفياتى آمن فى البداية بالأممية ، وتنكر للمشاعر الوطنية .

ولما دخل الاتحاد السوفيتى الحرب العالمية الثانية احتاج إلى لم شمل القوميات به لمواجهة الغزو النازى للاتحاد السوفيتى ، وخرج الاتحاد السوفيتى من الحرب منتصرًا ، فاعترف به دولة عظمى لها حق أسلاب الحرب مثلها كمثل أية قوة إمبريالية ، ومن هنا كان موقف الاتحاد السوفيتى من القضية الفلسطينية يتغير بتغير الأحوال التى تفرضها مصالح الاتحاد السوفيتى ، ولأن الشيوعيين العرب ، ومنهم الشيوعيون المصريون كانوا توابع لسياسة الحزب الشيوعى السوفيتى ، فقد كانت مواقفهم تتغير تبعًا لتغير مواقف سياسة الحزب الشيوعى السوفياتى ، التى سارت منذ بدايتها على الوجه التالى :

---

(١) طارق حجى : تجربتى مع الماركسية ، ص ٩٠ ـ ٩٢ ، مطبوعات الاتحاد الدولى للبنوك الإسلامية ـ جدة ـ القاهرة مايو ١٩٨٣م .

**أولاً**: فى سنة ١٩٢٠م أصدر المؤتمر العام لمنظمة الشيوعية الدولية (الكومنترن) قراره المناهض لحركة الهجرة اليهودية إلى فلسطين ، والإعلان عن رفض إنشاء وطن قومى لليهود لأنهم لا يعدون أمة ، ووافقتهم الأحزاب الشيوعية فى فلسطين وسوريا ولبنان والعراق ، ثم توالت موافقة الأحزاب الشيوعية العربية ، تتبع موقف الشيوعية الدولية حتى سنة ١٩٤٧م .

**ثانيًا** : فى ١٩٣٧/٩/٨م يرفع الحزب الشيوعى السورى تقريراً إلى مؤتمر (بلودان) تنشره صحيفة الحزب ( صوت الشعب ، فى عدديها الصادرين فى ١٢، ١٥ سبتمبر سنة ١٩٣٧م جاء فيه : إن كل العرب، وكل القوى الديمقراطية الشريفة فى العالم العربى، لا يمكن إلا أن يؤيدوا مطالب الشعب الفلسطينى وهى :

١ ـ رفض تقسيم فلسطين رفضًا باتًا .

٢ ـ وقف الهجرة اليهودية إلى فلسطين .

٣ ـ منع بيع الأراضى العربية إلى اليهود .

٤ ـ إقامة نظام دستورى يضمن انتشار السلام والهدوء فى فلسطين .

ولم يكن نشر هذا التقرير ، وما جاء فيه إلا اتباعًا للسياسة السوفيتية .

**ثالثًا** : أخذ الحزب الشيوعى الفلسطينى منذ ثورة الشعب الفلسطينى فى سنة ١٩٣٦م يدعو إلى الكفاح الشعبى ضد الانتداب البريطانى والغزو الصهيونى لفلسطين، ولم يكن هذا النداء إلا خطوة خداع للرأى العام العربى ، لأن هذا الحزب نفسه ، أخذ بعد ذلك يركز إعلاميًا على ضرورة التفرقة بين اليهودية والصهيونية ويزعم أن فى الخلط بينهما ظلمًا لليهود المستوطنين فى فلسطين الذين هم إخوان للعرب ، كما جاء فى صحف : كود هاعام لسان الحزب الشيوعى الفلسطينى فى عدد ديسمبر سنة ١٩٤٠م ، وفى صحيفة صوت الشعب السورية لسان الحزب الشيوعى السورى الصادر فى يوم ١٣/٨/١٩٤٤م جاء فيها : لقد كنا وما زلنا نقول : إن نضال العرب فى فلسطين ضد الصهيونية ، ليس نضالاً بين عرب ويهود ، أى ليس نضالاً عرقيًا ولا دينيًا .

ونشر فى الصحيفة نفسها فى يوم أول مايو سنة ١٩٤٦م فقال خالد بكداش يقول : نحن لسنا أعداء لليهود ، بل أعداء للصهيونية ، أعداء قدماء لها فهى حركة رأسمالية استعمارية رجعية ، وإن مآرب الصهيونية هى ذاتها مآرب الاستعمار البريطانى ، والرأسمالية الصهيونية المندمجة بالرأسمال الإنجليزى والأمريكى .

وفى صحيفة اتحاد الشعب ، لسان الحزب الشيوعى العراقى نشر فى شهر أكتوبر سنة ١٩٤٥م بيان الحزب الشيوعى العراقى ، ومما جاء فيه : « لقد أعلنا فى مناسبات عديدة عداءنا للحركة الصهيونية ، ولفكرة إنشاء وطن قومى صهيونى بفلسطين العربية وأعلنا تضامنًا مع الشعب العربى فى فلسطين وتأييدنا التام لمطالبته بمنح الشعب الفلسطينى حق تأليف حكومة وطنية ديمقراطية مستقلة » .

يقول الأستاذ طارق حجى : ولكن مراجعة الدارس المدقق للنشرات السوفيتية التى كانت تصدر فى ذلك الوقت ، ولا سيما أعداد مجلة الأزمنة الحديثة السوفياتية يتأكد من أن الشيوعيين فى البلاد العربية ما كانوا يفعلون سوى ترديد ما تذيعه أبواق الإعلام السوفياتية .

ومن سنة ١٩٢٠م إلى ١٩٤٧م كان الشيوعيون العرب يرددون مقولات : لينين وستالين ، وزعماء الكومنترن عن الصهيونية حتى يكونوا أمميين مخلصين للحركة الشيوعية العالمية ، ولكن لما عادت الحركة الشيوعية العالمية ( الكومنترن ) وأعلنت فى الأمم المتحدة فى سنة ١٩٤٧م على لسان وزير خارجيتها ( أندريه جروميكو) أن اليهود أمة لأنها تملك مقومات الأمة وفى مقدمتها الأرض القومية = أرض فلسطين ، رددت الأحزاب الشيوعية العربية مقولة ( جروميكو ) بدون تفكير. ولهذا حدث تطور فى سياسة الأحزاب الشيوعية العربية على الوجه التالى:

١ ـ فى ديسمبر سنة ١٩٤٧م نظم الحزب الشيوعى العراقى تظاهرة ضمت كل أعضائه ضافت بشوارع بغداد ، تعلن تأييدها لقرار التقسيم ، وإقامة دولة يهودية فى فلسطين ، وكان يتقدم هذه التظاهرة عضوان بالحزب الشيوعى العراقى أحدهما مسلم والثانى يهودى ، وقد تشابك ساعداهما كرمز للصداقة العربية اليهودية .

٢ ـ وعندما دخلت الجيوش العربية أرض فلسطين لتحريرها أعلن الحزب الشيوعى السورى ونظيره اللبنانى بيانًا صاغه خالد بكداش ، وصف العرب بأنهم يقومون بحرب دينية عنصرية ، وأنه يجب أن تنسحب جيوشهم العربية من فلسطين فورًا .

٣ ـ وجه الحزبان الشيوعيان فى سوريا ولبنان الدعوة للحزب الشيوعى العراقى وللحزب الشيوعى الفلسطينى ( عصبة التحرير الوطنى ) لإصدار بيان عام موحد ، يؤيد التقسيم ، ويستنكر الحرب فى فلسطين على اليهود .

ولقد وصف الحزب الشيوعى العراقى الحرب فى فلسطين بالحرب القذرة ، وطالب العرب بالتعاون مع القوى الديمقراطية فى [ إسرائيل ] بمنع الحرب .

وليلاحظ القارئ والمحلل أنهم صاروا يطلقون اسم إسرائيل على أرض فلسطين العربية .

٤ ـ وفى يوليو سنة ١٩٤٨م أصدر الحزبان الشيوعيان اللبنانى والسورى منشورًا جاء فيه : إن الحرب ضد اليهود مؤامرة يدبرها الاستعمار ولابد من الاتحاد فى سبيل سحب الجيوش العربية من فلسطين .

٥ ـ وبينما كان الشيوعيون واليهود يحاربون من أجل [ إسرائيل ] فقد أصدر الشيوعيون الفلسطينيون منشورًا فى ١١ من يوليو ١٩٤٨م بعد يومين من استئناف القتال بعد انتهاء الهدنة الأولى ، وزعوه على السكان والجنود العرب مطالبين فيه بوقف الحرب فورًا والاعتراف لليهود على إقامة دولتهم بفلسطين ، وفى المنشور نفسه ، وصفوا الجيوش العربية بأنها محتلة دخلت أرض فلسطين ، وعليها أن تغادرها فورًا .

٦ ـ وفى ديسمبر سنة ١٩٤٧م انضم الشيوعيون المصريون من كل التنظيمات الشيوعية فى مصر للركب الجديد،وفى النشرة السرية (الوعى) فى ٢٠/١٢/١٩٤٧م جاء ما يلى : على أثر تجمع عوامل تاريخية متعددة أدت إلى جعل يهود فلسطين أمة ، وإذا قلنا أمة ، وجب أن نعترف بحق تقرير المصير [ وعند ذلك ] فلا يمكن أن ننكر عليهم حق الانفصال عن الأمة العربية ، وتكوين دولة يهودية .

٧ ـ وفى ١٩٤٨/٧/٢٩م يصدر ( حدتو ) بيانًا رسميًا عن حرب فلسطين ، وفيه وصف حرب فلسطين بأنها حرب دينية ، دفع الاستعمار البريطانى والإمبريالية الأمريكية جيوش الرجعية العربية لخوضها ، وجاء فيه أيضًا : هذه الحرب الدينية وسيلة جبارة لتحويل أنظار الشعوب العربية عن قضاياها الوطنية ومطالبها الاقتصادية، وتحويل صراعها الوطنى ضد الاستعمار إلى صراع عنصرى ضد اليهود.

٨ ـ وفى سنة ١٩٤٩م ينشر الحزب الشيوعى المصرى تقريرًا جاء فيه : « إن من أهم دوافع الحرب فى فلسطين : تمرين الجيش المصرى على القتال ، استعدادًا للحرب العالمية القادمة ، ضد الاتحاد السوفياتى » (١) .

وهكذا خانوا وزيفوا ودلسوا من أجل الصهيونية ، والاتحاد السوفياتى .

يقول ( چيل بيرو ) مؤلف سيرة هنرى كوريل : رجل من نسيج وحده : «إن موافقة الشيوعيين المصريين أعضاء الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى ( حدتو ) فى عام ١٩٤٧م على مشروع التقسيم يعود إلى انتمائهم إلى موقف الاتحاد السوفياتى، ولو كان أحد غير ( جروميكو ) وزير الخارجية السوفياتى تقدم به آنذاك ، فمما لا شك فيه ، فإن هنرى كوريل ورفاقه كانوا سيرفضونه » (٢) .

وكانت منظمة ( حدتو ) تعرف حقيقة أطوار الصراع العربى / الصهيونى فى فلسطين ، وكانت تجند اليهود من أعضائها الذين لهم علاقة بكبار الشخصيات الأجنبية ذات التأثير فى مصر ، فعلى سبيل المثال كان ريمون الأسطنبولى يعمل سكرتيرًا للمدير العام لإحدى شركات البترول بمصر ، وكان هذا المدير العام صديقًا لصدقى باشا السياسى المصرى القوى ، وكان ريمون هذا يهوديًا إيطاليًا ، وعميلاً للمخابرات الصهيونية فى مصر (٣) .

ولكن كوريل استطاع أن يضم إلى ( حدتو ) بعد ذلك شخصيات مهمة استطاعت أن تصل إلى الحكم فى مصر فى عهد عبد الناصر وشاركوه فى الحكم

---

(١) طارق حجى : تجربتى مع الماركسية ، ص ٨٩ ـ ١٠٣ .

(٢) چيل بيرو : هنرى كوريل ، ص ٤١٠ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢١٣ .

أمثال : خالد محيى الدين ، وفؤاد مرسى ، وإسماعيل صبرى عبد الله ، وأحمد حمروش ، ويوسف صديق ، وعبد الناصر نفسه ، ولكن على حد تعبير چيل بيرو بصورة أقل [١] .

وكان كوريل يقدم لكل مؤتمر تعقده منظمة التضامن الأفروأسيوى ورقة عنوانها: ملاحظات حول المشكلة الفلسطينية تتضمن ما يلى : « إننا ننطلق من حق الجماعات الوطنية المقدس الذى لا يسقط بالتقادم فى أن تعيش فى وطنها ، إذن نحن نعترف بحق يهود إسرائيل فى الوجود الوطنى ، ولكن هذا الحق يجب بالأحرى منحة لعرب فلسطين ، صحيح أن كلا من الطرفين ينكر حقوق الطرف الآخر المشروعة ، وعلى هذا فبدفاعنا عن حقوق الفلسطينيين العرب ، فإننا لا ندافع عن قضية عادلة فحسب، بل نخلق الظروف المناسبة لاعتراف العرب بالحقوق الشرعية لليهود الإسرائيليين » [٢] .

وهذا كلام فات وقت الحاجة إليه ، ولا يزيد عن كونه عزاء من رجل كان يتمنى وفاة رجل ، فلما توفى ، وهو يعلم أن العزاء لن يعيد له الحياة ، عزاه .

وبينما كانت دولة الكيان الصهيونى بدءًا من سنة ١٩٤٨م تهتم بتطوير مؤسساتها العسكرية ، وبناء قوة عسكرية نووية ، وأسلحة تدمير شامل جرثومية وكيميائية قادرة على ردع أية قوة عربية لا سيما مصر ، كانت الدول العربية غارقة فى مشاكلها الناتجة عن الاستعمار الإنجليزى والفرنسى ، واختراق الشيوعية لبعض المجتمعات العربية، خاصة مصر والعراق وسوريا واليمن الجنوبية، هذا فيما يخص الحكومات العربية ، بجانب عيوب المجتمعات العربية بصفة عامة ، وما أصابها من جمود التفكير ، وتخلف المستوى الثقافى والممارسة السياسية ـ ثم ضخم الفقر فى المعيشة والتخلف فى أساليب التعليم والتقنية وغيرها من العيوب .

وعندما قامت حركة يوليو فى سنة ١٩٥٢م ، لم تنشغل كثيراً بقضية فلسطين، ولم تقدر القوة اليهودية ، ومدى خطرها على البلاد العربية .

---

(١) چيل بيرو : هنرى كوريل ، ص ٢٥٥ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ٤١١ .

وانشغل العسكر الذين قاموا بحركة يوليو سنة ١٩٥٢م حتى مارس سنة ١٩٥٤م بإحداث تغييرات اجتماعية بالمجتمع ضد من أسمتهم الرجعية الإقطاعية ، والأحزاب وجماعة الإخوان المسلمين ، وانشغل عبد الناصر بصفة خاصة بكشف خطورة ما أسماه فساد المجتمع الذى كان يحكمه الملك والإقطاع والأحزاب السياسية الفاسدة .

وفى سوريا توالت الانقلابات من سنة ١٩٤٩م بدأها حسنى الزعيم ، ثم سامى الحناوى ، ثم أديب الشيشكلى ، وكانت المشكلات الداخلية تغطى على الأحداث القومية .

وفى العراق استبد نورى السعيد بالحكم وفى أوائل سنة ١٩٥٦م حرضته بريطانيا على أن يتقدم باقتراح لإقرار السلام على أساس خطة الأمم المتحدة فى تقسيم فلسطين ، ولكن اقتراحه منى بالفشل .

ثم ابتلى الزعماء العرب بمرض ( رومانسى ) عجيب يشخص أحيانًا بالقومية العربية ، وأحيانًا بالبعث العربى ، وكانت النتيجة أنه بدلاً من أن يتجمع العرب فقد تفرقوا وظهرت العصبيات كالفرعونية والفينيقية والآشورية ـ والكردية ودخل أصحاب هذه العرقيات فى صراعات من حروب كلامية ، شغلتهم عن الحركة الدؤوبة ـ التى كانت دائرة فى دولة الكيان الصهيونى ، والتى شملت كل مجالات النهوض بهم .

وغاب المفكرون والأدباء عن دورهم فشغلوا الناس بقضايا تافهة ، خدمت كلا من الاستعمار الغربى ، والشيوعية السوفيتية بقصد وبغير قصد ، وكان العامة يصفقون طورًا لهؤلاء ، وطورًا لهؤلاء ، وكأنهم ينظرون إلى معجزات خص الله بها العالم العربى ، وحرم منها العالمين .

أما السوفيات بعد أن ساهموا فى بناء دولة الكيان الصهيونى ، لم يهتموا أبدًا بإيجاد أى حل للمشكلة الفلسطينية حتى سنة ١٩٥٢م ، بل كانوا يمتنعون من التصويت على القرارات التى تعنى بمشكلة اللاجئين الفلسطينيين فى الأمم المتحدة من سنة ١٩٤٨م إلى سنة ١٩٥٥م وفعلوا الشىء نفسه فى قضية القدس التى

اعتبروها مدينة يهودية ، دليل ذلك أن السفير السوفيتى عندما قدم أوراق اعتماده لحكومة الكيان الصهيونى فى القدس فى سنة ١٩٥٤م تقدم بها على أساس أنها عاصمة الدولة اليهودية، خلافًا لكل الدول الغربية التى اعترفت بالدولة الصهيونية، دون أن تعترف بالقدس عاصمة لها .

إن سياسة السوفييت لـم تتحول يومـًا عن تأييد الدولة الصهيونية ، والانحياز لها ، وفى الوقت نفسه كانت سياستهم المعلنة مليئة بمزاعم الانحياز للعرب ، ورضى كل من الحكومات العربية ، والدولة الصهيونية بما نهجه الاتحاد السوفيتى حياله .

فى هذه الفترة الناصرية اهتم جمال عبد الناصر بتسوية النزاع ، وجرت اتصالات بينه وبين رئيس وزراء الكيان الصهيونى موسى شاريت ، وكانت هذه الاتصالات سرية فى بعض العواصم الأوربية والعربية ، لكن عودة ( ديفيد بن جوريون ) إلى الحكم ، وإثارة نزاعات الحدود هدمت هذه المساعى ، ثم قامت حرب سنة ١٩٥٦م ولم يزد موقف الاتحاد السوفياتى على إعلان البيانات والمزايدات الإعلامية ، ولما مارس الرئيس الأمريكى ( دوايت أيزنهاور ) الضغط على الصهاينة لكى تنسحب القوات الفرنسية والإنجليزية والصهيونية من أرض سيناء المحتلة ، لكى توضع القضية بكل أوراقها فى يد الولايات المتحدة بصفة نهائية ، عند ذلك خرقت البيانات السوفيتية الدعائية آذان الناس جميعًا بأنهم كانوا السبب فى سبق الولايات المتحدة بأمر القوات المعتدية بالانسحاب من الأراضى المحتلة، ومع هذا فلم يشاركوا ضمن قوات الطوارئ الدولية فى سنة ١٩٥٦م ، كما لم يكونوا قد اشتركوا مع مراقبى الهدنة فى سنة ١٩٤٩م ولا فى لجنة التوفيق الدولية فى سنة ١٩٥٠م .

ولم يخرج الكيان الصهيونى من العدوان الثلاثى فى سنة ١٩٥٦م بدون فائدة فقد أتيح له بموافقة دولية استخدام خليج العقبة الذى كان محظوراً عليه من قبل ، كذلك فقد استجيب لطلبه أن تكون منطقة شرم الشيخ منزوعة السلاح ، وبذلك زال الحصار الذى كان مفروضًا على ميناء إيلات ، فى الوقت الذى لم يقدم فيه

السوفييت شيئًا ، إلا بعض التهديدات اللفظية التى بدت وكأنها متفق عليها ، لأن الكيان الصهيونى لم يعرها أى اهتمام، وكسب الاتحاد السوفياتى دعائيًا بين العرب، فقد استغل عملاؤه ـ فى العالم العربى ـ جعجعته الإعلامية فى كسب قطعان جديدة من السذج إلى تنظيماتهم ، فزعموا للغوغاء أن السوفييت هم الذين أرغموا دول العدوان الثلاثى على الانسحاب من الأراضى العربية وبقى معروفًا أن أكبر عون قدمه الاتحاد السوفيتى للكيان الصهيونى ـ الثروة البشرية فطليعة المنظمة الصهيونية العالمية كان أغلبهم من اليهود الروس ، والسوفييت ، ومن يهود شرق أوربا الذين كانوا تحت سيطرة الروس والسوفييت خاصة من بولندا ، وفوق ذلك أكثر الطبقات العاملة ، ولا يزال هؤلاء وأولئك جميعًا يمسكون بقبضة الحكم فى الكيان الصهيونى ، ويخططون لتفريغ فلسطين من أصحابها العرب ، وتحويلها إلى كيان كله من اليهود .

ومع أن هجرة اليهود الروس ثم السوفييت ثم الروس لم تنقطع إلى الكيان الصهيونى ، فإن يهود الكيان الصهيونى يخططون لجلب مليون يهودى روسى إلى ما يزعمون أنه وطنهم التاريخى ، وهم يفكرون فى إيجاد العمل لهم ، وتجهيز الأرض لتوطينهم ، ولو أدى الأمر إلى ترحيل العرب الفلسطينيين الذين لا يزالون يتمسكون بأرضهم ، أو إبادتهم .

وهكذا نجحت الصهيونية العالمية فى أن تقيم كيانًا صهيونيًا على أرض فلسطين أغلب مستوطنيه من اليهود الروس والبولنديين ، بوسائل الاستيطان الإحلالى بالقوة العسكرية ، وبدعم من القوى الاستعمارية ، خاصة من جانب بريطانيا ثم الولايات المتحدة الأمريكية .

وبعد انهيار الاتحاد السوفياتى فتحت روسيا أبواب الهجرة أمام اليهود ، فهاجر إليها ٨٠٠٠٠٠ ( ثمانمائة ألف ) مهاجر يهودى ٩٠٪ منهم من روسيا [١] .

ولا تزال روسيا فيما يعتقد الصهاينة الخزان اليهودى الذى يمكنه مد الكيان

---

(١) مجلة شؤون الأوسط ، العدد ٧٣ ، يونيو ١٩٩٨م ، ص ١٠٤ .

الصهيونى بالبشر بأعداد غفيرة ، إذ لا يزال بها أكثر من ٢٠٠٠٠٠٠ ( مليونى ) يهودى غير أنصاف اليهود من الزواج المختلط [١] .

ويساعد الغرب الأوربى ، والولايات المتحدة فى دفع نفقات ترحيلهم إلى الأرض الفلسطينية ، وهم يرون فى ذلك مكسبين :

**الأول** : يعضد وجود الكيان الصهيونى ويمكنه من الأرض الفلسطينية بالقوة البشرية .

**الثانى** : إن أغلبية هؤلاء ينظر إليهم الأوربيون الغربيون على أنهم من أصول عرقية أدنى من: قوقاز ، وتتار ، ومغول ، وهى أجناس غير مرغوب فى وجودها فى أوربا أو الولايات المتحدة . أضف إلى ذلك أن طباعهم المتأصلة فيهم تميل إلى صنع القلاقل والاضطرابات ، والانغماس فى الجماعات السرية الإرهابية ، وهكذا ينظر إليهم الباحثون الاجتماعيون فى الغرب منذ اغتيال قيصر روسيا فى سنة ١٨٨١م على يد أحدهم . حتى لقد بالغ أحد الباحثين ، فرأى أن البرجوازية الأوربية ومنها البرجوازية اليهودية ترى أن اليهود الفقراء المهاجرين من الاتحاد السوفيتى إلى العالم الغربى ميالون بطبعهم إلى التآمر على الأغنياء ولو كانوا يهودا، ولهذا تخوفت البرجوازية اليهودية فى أوربا الغربية من إمكانية انضمام الفقراء اليهود المهاجرين من روسيا ، بعد حادثة اغتيال القيصر الروسى الإسكندر الثانى فى ١٨٨١م إلى الأحزاب الأوربية المناهضة للأنظمة القائمة [٢] .

ولهذا لما كانت بداية هجرتهم من روسيا مواكبة للحركات القومية الأوربية ، فقد شجع المنطق القومى تحويل عدد كبير من يهود روسيا من أجل توطينهم فى فلسطين . ومع هذا فقد كثر عدد اليهود المتساقطين ، وهو ما يعنى فى المصطلح

---

(١) مجلة شؤون الأوسط ، العدد ٧٣ ، ص ٥١ ، ولكن د. المسيرى أكد أن هذا الرقم مبالغ فيه، قال: إن الرقم الحقيقى ١,٦٣٠,٠٠٠ مليون وستمائة وثلاثون ألفًا أما رقم المليونين فلم يرد فى أى من المراجع الموثوق بها عن كتاب: هجرة اليهود السوفييت ، ص ٤٤ .

(٢) د. يوسف الحسن : البعد الدينى فى السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربى الصهيونى ـ دراسة فى الحركة المسيحية الأصولية الأمريكية ، ص ٢٨ ـ مركز دراسات الوحدة العربية ـ الطبعة الأولى سنة ١٩٩٠م .

الصهيونى : اليهود الذين يزعمون أنهم سيهاجرون إلى أرض فلسطين للاستيطان بها، ثم يولون وجوههم شطر الولايات المتحدة .

وكانت الهجرة من الاتحاد السوفيتى حتى سنة ١٩٨٩م ناتجة عن ضيق يهود الاتحاد السوفيتى بالنظم الاشتراكية السوفيتية ، وتضييق الخناق عليهم فى القطاع التجارى والمالى ، وهو المجال الذى يتناسب مع رغباتهم وإمكاناتهم ، ولقد فضل هؤلاء التوجه إلى الولايات المتحدة لكى يتمكنوا من تحقيق معدلات عالية من الحراك الاجتماعى ، وأمثال هؤلاء لا تشكل فلسطين جاذبية لهم [١] .

## سياسة روسيا بعد الاتحاد السوفياتى تجاه القضية :

فى الوقت الذى آذنت فيه الأحداث الدولية بأفول الاتحاد السوفيتى ، وتغيير النظام به ، كانت ثمة أحداث مضطربة ، وقلاقل جارية فى العالم الإسلامى ومنه العرب من جهة ، والسياسة العالمية وعلى قمتها العلاقات الأمريكية السوفياتية ، فالحرب دائرة بين العراق التى تمولها الولايات المتحدة وتوابعها من جهة ، وإيران التى خرجت من نظام الشاه ، ويريد النظام الجديد أن يبنى فيها دولة حديثة على قواعد إسلامية من جهة .

كما كان هناك حرب دائرة فى موطن آخر من العالم لا يقِل أهمية فى أفغانستان بين إحدى القوتين العظميين فى العالم = الاتحاد السوفياتى من جهة وبلد إسلامى يرفع شعار الجهاد الإسلامى أفغانستان ، الذى تساعده الولايات المتحدة بالسلاح والتدريب عليه ، والسماح بتدريب الشباب المسلم من كل بلاد العالم الإسلامى للمشاركة فى الجهاد الإسلامى الشرعى ـ من وراء ستر .

وكان لكل من القوتين العظميين مصالح فى كل هذه الحروب ، تتمحور حول التحكم فى الأماكن المهمة الموقع فى العالم ـ والصراع حول بترول الخليج ، وبحر قزوين . وكانت مشكلة الشرق العربى الأولى فى كل هذه الأحداث قضية فلسطين التى يتعامل معها الكيان الصهيونى بصورة أشد بشاعة من التى كان يعامل بها الروس اليهود فى مذابح (البوجروم) والنازية فى محرقة ( الهلوكست ) فإن مذابح البوجروم والهلوكست ، لم تصل فى بشاعتها إلى حد الإبادة الجسدية للبشر ،

---

(١) د. عبد الوهاب المسيرى : هجرة اليهود السوفييت ، ص ٥٦ .

والإبادة للشجر والزرع ـ وهدم المساكن ، وتجويع من بقى على قيد الحياة ، فحرب الصهيونية حرب إبادة توراتية كما نص عليها سفر يشوع الذى تخيل فيه عزرا أن يشوع قد أباد كل ما ينبض بحياة من حيوان ونبات ، وكل من ينبض بحياة من البشر ، أما الصهاينة الجدد فهم يضيفون إلى ذلك تجريف الأرض الزراعية ، وهدم المساكن وكأنها دمرت بزلازل .

كانت القمة الأمريكية / السوفياتية فى ١٩٨٨م ربما آخر القمم فى حياة الاتحاد السوفيتى قبل نهايته ، ولم تستطع هذه القمة أن تملأ شيئًا فى الحلقة المفرغة التى تدور فيها مواضيع الشرق العربى ـ خاصة قضية فلسطين ـ ودور كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ، وأطماع كل منهما الذى يريد أن يخرج بها منه .

كانت هناك قمم سابقة بين القوتين العظميين تطرقت إلى قضية فلسطين ، قيل إنها أيقظت أملاً للفلسطينيين يحرك قضيتهم ، وكان من أهمها قمة الرئيس الأمريكى نيكسون والرئيس السوفياتى بريجنيف فى سنة ١٩٧٢م ولكنها فشلت فى أن تحقق أى تقدم فى القضية ، خاصة للفلسطينيين الذين طال حصارهم فى ظل سياسة المذبح الصهيونية ، وما يساوقها من تجويع وإهانات إنسانية لعرب فلسطين، وربما كان فشل السياستين الأمريكية والسوفيتية أهم العوامل التى أدت إلى اشتعال حرب رمضان / أكتوبر ١٩٧٣م .

وكانت الولايات المتحدة فى السبعينيات صديقة لشاه إيران ، وكانت تحرض دائمًا على أن يقوم باستفزاز العراق صديقة الاتحاد السوفياتى ، وليس أدل على ذلك من موقف الولايات المتحدة بعد فشل قمة نيكسون / بريجنيف فى سنة ١٩٧٢م وكانت بموسكو ، ولأن هذه القمة فشلت فى أن تحقق للولايات المتحدة الأرضية التى تريدها فى منطقة الخليج ـ خاصة فى العراق ـ بالمشاركة مع الاتحاد السوفيتى . فقد كان رد الفعل الفورى لفشلها أن « سافر نيكسون ووزير خارجيته كيسنجر من موسكو إلى طهران مباشرة لكى يحرض الشاه على تصعيد حربه غير المعلنة على العراق حليف الاتحاد السوفيتى » (١) .

---

(١) فريد هاليداى : قمة موسكو والشرق الأوسط مؤشرات أولية ، ص ١٥ ، مجلة الباحث العربى ـ مركز الدراسات العربية ، لندن العدد ١٧ أكتوبر / ديسمبر ١٩٨٨م .

وكانت السياسات سواء سياسات الولايات المتحدة ، أو سياسات الاتحاد السوفيتى فى المنطقة العربية عمومًا ومنها فلسطين ، تسير بحسب مؤشر المصالح لكل منهما فى المنطقة العربية ، أو فى أفغانستان .

وما دام موضوع البحث هو جهود السوفييت ومن قبلهم من الروس ومن بعدهم فى مساعدة الكيان الصهيونى حتى يصير دولة ، فيمكن أخذ إجابات جورباتشوف آخر زعماء الاتحاد السوفيتى ، وصاحب نظرية ( البيروسترويكا ) أى تجديد البناء فى دولة روسيا الاتحادية التى قامت على أنقاض الاتحاد السوفيتى ـ كان ذلك فى المؤتمر الصحافى الذى عقد فى موسكو بعد مؤتمر القمة ريجان / جورباتشوف فى يوم أول يونيو سنة ١٩٨٨م .

**سؤال وكالة أنباء سنا سوريا ؛ الموالية لروسيا :**

إن الدول العربية تقدر تقديرًا كبيرًا الكلمات العادلة التى صدرت عنكم مؤخرًا حول الشعب الفلسطينى الذى يشن ـ هذه الأيام نضالاً شجاعًا ضد المحتلين الإسرائيليين [ ربما يقصد مقاومة أطفال الحجارة ] هل يمكنكم أن تذكروا لنا ما توصلتم إليه خلال اجتماعكم مع الرئيس ريجان حول المسألة الفلسطينية ، وحول التسوية فى الشرق الأوسط بشكل عام .

جورباتشوف : لقد لاحظنا أنه بدت خلال المناقشات عدة أوجه حقيقية ذات علاقة بتسوية سياسية فى الشرق الأوسط :

**أولاً** : هناك وعى لدى المجتمع الدولى ، وبين الدول الخمس الدائمة العضوية مجلس الأمن بالحاجة إلى تسوية تتم فى إطار مؤتمر دولى، أما كون الاتفاق لم يتم بشأن محتوى المؤتمر فتلك قضية أخرى منفصلة إضافة لذلك يوجد وعى بوجود مصالح لسوريا ، وللشعب الفلسطينى ، ولإسرائيل ، وكذلك بوجود مصالح للدول الأخرى فى المنطقة تتأثر كلها بالصراع القائم .

ونحن نؤيد التوصل لتسوية سياسية لكل القضايا التى تأخذ فى اعتبارها مصالح جميع الأطراف المعنية ، كما تأخذ فى اعتبارها أيضًا قرارات الأمم المتحدة فى هذا الشأن .

ويفترض ذلك أن جميع الأراضى التى تحتلها إسرائيل يجب إعادتها بالإضافة إلى حقوق الشعب الفلسطينى ، وقد أخبرنا الرئيس ريجان برؤيتنا للدور الأمريكى. ولكننا لا يمكن أن نقرر نيابة عن العرب شكل مشاركة الفلسطينيين فى المؤتمر الدولى ، فعلى العرب أن يقرروا ذلك بأنفسهم ، وعلينا نحن والأمريكيون أن نحترم اختيارهم .

ويضاف إلى ذلك أن علينا الاعتراف بحق إسرائيل فى الأمن ، وحق الشعب الفلسطينى فى تقرير المصير ، وعلى الفلسطينيين والعرب أن يقرروا الشكل الذى يتم به ذلك أيضًا ، وهذا يفتح الباب للتفاعل والحركة ، ويبدو لى أن فرصة تحقيق ذلك تلوح فى الأفق .

وسوف أكشف النقاب عن أمر آخر ، لقد قلنا أنه بعد بداية المؤتمر ـ مؤتمر حقيقى وفعال ، وليس واجهة لمحادثات منفردة تكون ساحة لتحركات ثنائية وثلاثية وغيرها . سوف نكون مستعدين لمناقشة قضية إعادة العلاقات الدبلوماسية مع إسرائيل .

ونحن بذلك ندخل عنصرًا جديدًا على الموقف ، وهذا يظهر أننا نقف بقوة على أرض الواقع وعلى أرض الاعتراف بتوازن المصالح من الطبيعى أن هناك قضايا مبدئية مثل : إعادة الأراضى ، وحق الشعب الفلسطينى فى تقرير المصير ، وينبغى أن أكرر هنا أيضًا أننا ننطلق من موقع أن شعب إسرائيل ودولتها لهم الحق فى الأمن ، لأنه لا يمكن وجود أمن لأحد الأطراف على حساب الطرف الآخر ، وإذن ينبغى التوصل لحل يساعدهم فى حل هذه العقدة [1] .

ومن إجابة جورباتشوف على سؤال وكالة الأنباء السورية الرسمية ، التى تتكلم بلسان حكومة البعث ، حكومة حافظ الأسد ، يقرر جورباتشوف :

١ ـ حق إسرائيل فى الأمن ، وهو موقف تتعامى فيه كل الدول الأوربية عن الحقيقة فكيف تعطى الذئب حقًا مسلوبًا للحمل ، لقد شنت حكومة الكيان الصهيونى ثلاثة حروب مدمرة على مصر وسوريا والأردن ، غير اجتياحها لأرض لبنان فى سنة ١٩٨٢م ويزعمون أنها تحتاج إلى الأمن بضمان الدول العربية .

---

(١) فريد هاليداى : قمة موسكو والشرق الأوسط مؤشرات أولية ، ص ١٦ .

٢ ـ إن إسرائيل صارت دولة ويجب أن تعامل على هذا الأساس من قبل العالم العربى .

٣ ـ إن الاتحاد السوفيتى عندما قطع علاقاته السياسية بحكومة الكيان الصهيونى فى فترة ما ، وكان لتحقيق مصالح سوفياتية عقدية وثقافية واقتصادية ، ولا تؤذن بالانتهاء بنهاية الاتحاد السوفياتى ، وبناء روسيا الاتحادية ، لم يعد لهذه الأمور العقدية والثقافية السوفياتية قيمة ترجى ، فإن جورباتشوف عاد يبحث إعادة العلاقات مع حكومة الكيان الصهيونى من أجل أن يكون لروسيا الجديدة نصيب فى المكاسب الاقتصادية فى العالم العربى ، وهذا ما ظهر فى قوله : إننا نقف بقوة على أرض الواقع ، على أرض الاعتراف بتوازن المصالح ، ولعل سياسة دولية غربية لم تصدق إلا فى هذه العبارة .

وفى أواخر سنة ١٩٨٩م بدأت طلائع هجرة يهودية جماعية من روسيا إلى أرض فلسطين ، ذلك لأن الكيان الصهيونى لا يزال يعانى من انعدام الكثافة اليهودية التى تحفظ له توازنه أمام الزيادة العربية ، وأصبح معدل الزيادة السكانية لكل من العرب واليهود فى أرض فلسطين يمثل أهم قواعد الصراع العربى / اليهودى، ذلك لأن ازدياد عدد السكان بين العرب ، هو الذى شجعهم على الانتفاضة فى النصف الثانى من عقد الثمانينات ، ومع أن أدوات هذه الانتفاضة كانت فتية فلسطينيين لا يحملون إلا الحجارة ، إلا أنها حملت مضامين فى الحرية هزت الكيان الصهيونى ، الذى أعد لها القوات العسكرية التى كلفتهم ملايين الدولارات .

وينظر الكيان الصهيونى إلى هذه المقاومة على أساس أنها مؤشر شديد الخطورة ، أو لما هو أخطر من مقاومة يقوم بها أطفال الحجارة ، فى ظل التكاثر السكانى العربى ، الذى يقابله مسار ثابت من المواليد اليهود ، ومن ثم أخذ الكيان الصهيونى يؤمل فى هجرة جماعية يهودية تعوض الزيادة السكانية العربية فى الأرض الفلسطينية ، وتوجهت أنظارهم قبل كل شىء باتجاه روسيا .

كانت هذه النظرة صائبة ، وكانت الظروف مهيأة من جانب اليهود الروس ،

فقد كانت السنوات الأخيرة فى العقد التاسع تنذر بيقظة العصبيات القومية والإثنية فى بعض جمهوريات الاتحاد السوفياتى ، تبعها نشوب نزاعات وصراعات دامية ، وصعود بعض المنظمات الفاشية ، وتردى الأوضاع الاقتصادية ، كل ذلك جعل التربة معدة لنداءات دعاة الهجرة من الصهاينة المحليين فى روسيا فى ظل عدم اليقين الأمنى والاقتصادى الذى أقلق اليهود منذ أواخر سنة ١٩٨٧م ، وطرح نداء الهجرة فى أوساط يهودية صارت أكثر قابلية للاستجابة .

ولكن هجرة اليهود السوفييت لم تكن استجابة لنداء العاملين فى مجال الصهيونية المحلية فى روسيا، لأن معظمهم كان يؤثر الرحيل عن الأرض الروسية، نشدانًا للأمن وطلبًا للاستقرار فى أرض أخرى تحقق لهم مستوى معيشة أرغد ، ولذلك فقد كان أغلبهم ينشد الرحيل إلى الولايات المتحدة ، ولكن القيود التى فرضتها الإدارة الأمريكية على الهجرة ـ فقبلت البعض ، ودفعت البعض الآخر إلى الهجرة إلى البديل الواقعى المتاح ـ الكيان الصهيونى .

إنه من الصعب الوصول إلى الأرقام الصحيحة لأعداد المهاجرين فى الموجات الجماعية من الاتحاد السوفيتى إلى أرض فلسطين ، وذلك بسبب تضارب التقديرات الرسمية لحكومة الكيان الصهيونى ، وتقديرات المنظمات اليهودية العالمية ، أو بسبب فرض الرقابة الرسمية على المعلومات المتصلة بالتهجير ـ ولكن عدم التيقن من صحة الأرقام لا يغير من مخطط التهجير وخطورته ، خاصة وأنه يتم بصورة جماعية فقد نشرت صحيفة ( دافار ) فى ١/٢/١٩٩٠م أن ما تم تهجيره من روسيا إلى الكيان الصهيونى كان عدده ما بين ٢٣٠٠٠٠ ( مائتين وثلاثين ألفًا ) إلى ٣٠٠٠٠٠ ( ثلاثمائة ألف ) [١] .

ولما كانت أوضاع اليهود فى دول الشتات هى الدافع الأول للهجرة اليهودية تلك الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، فإن المنظمات الصهيونية المحلية والعالمية ، تقدر ذلك ، وتجعل منه الحافز الأول لجذب اليهود السوفييت إلى الكيان الصهيونى ـ على أساس تحقيق مستوى حياة أرغد مما هو عليه الحال فى روسيا .

---

(١) ارجع إلى دراسة رضا سلمان : الهجرة اليهودية ومعضلة إسرائيل الديمقراطية ، ص ١٩٢ ، مجلة الفكر الاستراتيجى العربى ، العدد ٣٣ يوليو ١٩٩٠م .

والكيان الصهيونى يجعل مركز ترقبه الدائم المخزون ، أو المستودع الموجود فى روسيا ، فلا يزال يوجد فى روسيا ٢,٢٠٠٠٠٠ ( مليونان ومائتا ألف ) يتطلعون إلى الهجرة ، ومع أنهم جميعًا لا يتطلعون إلى الهجرة إلى الكيان الصهيونى ، فهم يفضلون عليه الولايات المتحدة ، أو غرب أوربا ، فإن الصهيونية الدولية تنظر إلى روسيا على أنها المصدر الأساسى للهجرة ، بالدرجة الأولى ، بحسب حدوث أية تقلبات مفاجئة داخل روسيا ، هذا مع أن الصهيونية العالمية ، وحكومة الكيان الصهيونى على علم تام بأن غالبية اليهود الذين يغادرون الاتحاد السوفياتى - فى موجات هجراتهم يتجهون إلى الغرب ، لا إلى الشرق ، إلى أرض فلسطين ، لكن هناك أعدادًا كبيرة من اليهود الروس، ترفضهم المجتمعات الغربية، فيفضلون التوجه إلى أرض فلسطين على البقاء فى الاتحاد السوفيتى ، خاصة فى ظل التغيرات التى ساوقت التحولات فى الاتحاد السوفياتى من النظام الشيوعى،إلى السياسة الليبرالية الجديدة، وسياسة الانفتاح، وبداية الجيشان القومى والإثنى، وظهور التيار الفاشى المعادى للسامية ، فى مطلع سنة ١٩٨٨م ، وطرح سؤال الهوية ، فهناك روسى ، وأوكرانى ، وليتوانى وغيره . كل ذلك أخذ يثير مخاوف اليهود ، مما كان يشاع عن نشاطهم السرى القديم ، وما يمكن أن يسببه لوجودهم واستقرارهم .

يقبل الكيان الصهيونى هؤلاء مع العلم بأنهم بدؤوا يشكلون مشكلة فى داخل الكيان الصهيونى نفسه هذه المرة ، ذلك لأن مساحة فلسطين صغيرة ، وهؤلاء الوافدين من روسيا يحتاجون إلى توفير عمل - ومسكن - وغذاء ، وهم ليسوا يهودًا عقائديين كالمهاجرين الأوائل الذين دفعهم الحلم التوراتى إلى الرحيل من بلاد الشتات إلى فلسطين ، وكانوا على استعداد لتقديم تنازلات كثيرة ثمنًا لتحقيق حلم أرض الميعاد ، وهو ما لا ينطبق على يهود التسعينيات الذين رحلوا عن روسيا إلى الشرق . فمعظم القادمين اليوم ، هم من اليهود الذين حققوا انصهارهم فى المجتمع السوفياتى،ولديهم فهمهم الخاص لماهية اليهودى الذى كان ينتمى إلى طبقة الصفوة فى الاتحاد السوفياتى ، التى شربت من قيمه - فى ظل النظام الماركسى اللينينى الذى يرفض القومية [١] .

---

(١) رضا سلمان : الهجرة اليهودية ، ص ٢٠٧ ، نقلاً عن ميخائيل شلينوف : الرحلة الأخيرة لليهود السوفيت ، يناير ١٩٩٠م ، ص ١ - ٣ .

وهؤلاء لا تعنيهم القيم الصهيونية كثيراً ، فهم أقرب إلى الثقافة الغربية ولا يهمهم أن يذهبوا إلى الكيان الصهيونى ، بقدر ما يهمهم التوجه إلى الغرب ، ذلك لأنهم إذا رحلوا إلى الكيان الصهيونى سيواجهون بمفهوم القومية اليهودية ، المعادية للقومية العربية ، وهو مفهوم ينفرون منه ، لأنهم طالما عانوا منه فى روسيا الجديدة ، فضلاً عن أن المناخ الغربى سيحقق لهم الاستقرار الأمنى ، والرفاه الاقتصادى ، والعيش الأرغد ، والمناخ العلمانى ، لا التزمت الدينى الصهيونى ، كما سيحقق لهم الزواج المدنى المختلط ، وتجنب الخدمة العسكرية الإلزامية : « أضف إلى أن مجرد التفكير بفكرة الحياة اليهودية العبرية ، هى أمر غريب ، ومنفر بالنسبة لمعظمهم » (١) . « ولا يتوقع أن يسارع هؤلاء للانضمام إلى الحاخام ليفنغر ، ومرافقته إلى حى القصبة فى نابلس ، ومهما خطب فيهم ـ رحبعام زئيفى، وغيؤلا كوهين ستبقى العائلة السوفياتية الصغيرة فى داخلهم » (٢). ولن يخرجوا منها .

---

(١) رضا سلمان : المرجع السابق نفسه ، ص ٢٠٨ ، نقلاً عن ميخائيل شلينوف ، ص ٥ .

(٢) مجلة الفكر الاستراتيجى العربى، رضا سلمان،الهجرة اليهودية، ص ٢٠٨ نقلاً عن لوفا إلياف، مقال فى معابر إلى سنة ٢٠٠٠ ملحق صحيفة دافار الأسبوعى ١٣/ ٤/ ١٩٩٠م، ص ٨ .